رواية وادي جهنم 13/2/2017

الفصل الأول " وادي المساخيط "

دلف ذلك الشاب طويل القامة أسود الشعر ببنطاله الجينز الأزرق وقميص في لون السماء ونظارة طبية أنيقة تلائم إطارها الأسود مع لون بشرته الفاتح . دلف عبر بوابة زجاجية واسعة بعد إلقاء التحية على فردين الأمن وهو يمرر حقيبته الجلدية السوداء عبر ألة الكشف الإلكترونية من ثم يلتقطها من الجانب الأخر وعلى وجهه إبتسامة جذابة أهداها لكل من كان في طريقه خلال وصوله إلى مكتبه داخل الهيئة العامة للأثار بوسط القاهرة ..

كان المكتب عبارة عن غرفة مربعة تحتوي على خمس مكاتب معدنية من تلك التي إكتظت بها جنبات المؤسسات الحكومية كان ثلاثة مكاتب منهم مشغولة برجل وإمرأتين ، بعد التحية اتخذ مكانه خلف مكتب مكتدس بالأوراق والملفات الروتينية ما إن وقعت عيناه عليها حتى أطلق زفرة ضيق واضحة مما جعل الرجل على المكتب المجاور ينظر إليه قائلا :

- ما بك يا حسام ؟؟

نظر حسام إلى الرجل الأربعيني وقال بضيق :

- لقد مللت تلك الأوراق فهذا لم يكن أبدا طموحي ..

قالت الموظفة على المكتب المقابل وهي سيدة في منتصف عقدها الثالث قد إمتلأ وجهها بالعديد من ألوان الزينة النسائية :

- ومن منا ينال ما يطمح إليه ولكنها وظيفة على كل حال ..

رمقها حسام بإزدراء قبل أن يقول :

- هل هذا ما تعلمناه في كلية الأثار أن نجلس لنملأ بعض البيانات العقيمة ونترك

أثارنا للأجانب ينقبون عنها ؟!!!

هنا تدخلت الموظفة الثالثة وهي شابة في نفس سن حسام تقريبا جميلة الهيئة إنسدل شعرها الأسود على كتفها فزاد وجهها تألقا ، وقالت :

- أستاذة عبير ليست المكاتب عمل ملائم لأمثالنا ويجب على رؤوسائنا أن يسغلوا طاقة الشباب خاصة إذا كنا في بلد بها هذا الكم من الأثار التي لم تكتشف بعد ..

ابتسم حسام للموظفة الشابة موافقا تماما على ما نطقت به في حين مطت الموظفة الأخرى شفتيها قبل أن تلتفت إلى ورقة بيدها ويسود صمت خيم على المكتب لدقائق طوال ..

****

تراجع الأستاذ محفوظ رئيس هيئة الأثار في كرسيه الضخم ليغوص داخله بجسده النحيل وجبهته العريضة ويقول بصوت قوي لنائبه الجالس أمامه ..

- شيء عجيب حقا إذا كان السائحين لم يأتوا لمشاهدة المعابد والتماثيل الفرعونية هل سيأتون لمساهدة تلال من العظام المتأكلة بما يسمى الحفريات ؟!!

قال نائبه وهو رجل مكتظ الجسد ذو كرش عملاق :

- سيدي الأثار الفرعونبة لم تعد جاذبة وأنت تعلم أنه لا توجد بلد في العالم لا تمتلك مئات القطع الأثرية التي يتم تهريبها يوميا أما الأثار الجيولوجية خاصة إذا كانت لكائنات منقرضة فلقد أصبحت جاذبة بشكل كبير جدا خاصة السياحة العلمية ..

زفر المدير بشدة وهو غير مقتنع تماما وقال :

- والمطلوب ؟

قال النائب :

- الوزير الجديد يريد إكتشافات جديدة تساعد في حملته لتنشيط السياحة وهذا ما يجب حدوثه ..

فكر المدير قليلا وقال :

- إسمع إن كان الأمر حتمي فحاول أن يكون الأمر بميزانية قليلة ويفضل أن تكون منطقة قريبة جدا ..

ناوله نائبه ورقة وهو يقول :

- هذه بعض الأماكن المقترحة من المتخصصين ياسيدي ..

نظر المدير إلى الورقة مليا قبل أن يشير إلى منطقة بعينها ويقول :

- هذه مستبعدة تماما فغير تكاليفها أيضا هناك إهتمام خاص بها من جهات سيادية ..

هز النائب رأسه موافقا في حين إستغرق المدير في مطالعة الكشف أمامه قبل أن يشير إلى منطقة وهو يقول بزهو :

- هذه هي ..

نظر النائب إلى المنطقة قبل أن يرفع حاجبيه متعجبا وهو يقول :

- لكن ياسيدي هي مكتشفة بالفعل منذ زمن ؟!!!

إبتسم المدير وقال :

- نعم هي كذلك وهذا سيسهل المهمة فهي غنية أصلا بالحفريات مما سيقلل المجهود وكذلك التكاليف فأي بعثة صغيرة تستطيع التعامل معها وبعدها يمكننا أن نعلن عن أي إكتشاف ولو سبق إكتشافه وخاصة أننا تقدمنا لليونسكو بطلب إعلانها منطقة تراث وبهذا ندعم طلبنا ونكون قد ضربنا عدة عصافير بحجر واحد ..

جحظت عينا النائب مبهورا بتفكير رئيسه المنطقي وهو يقول :

- إسمح لي سيدي أن أحييك على هذه الفكرة !!!

ابتسم المدير وهو يرفع رأسه الصغير بتباهي قبل أن يعتدل ويقول:

- أسمع سيكون من الجيد لو كانت البعثة تحتوي على شباب ..

هز النائب رأسه موافقا تماما قبل أن ينصرف ..

****

إستغرق مدكور في تهيئة الحقل لبدء زراعته كما هي العادة كانت الشمس قد إستعرت في كبد السماء في ذلك النهار الصيفي الحارق فلم تنجح النسمة الباردة القادمة من البحيرة القريبة في قهر الحرارة ..

تسللت حبيبات العرق لتضفي على بشرته لونا أقرب إلى الأبانوس الصافي ..

في كم ثوبه مسح العرق الذي بدأ في الإنهمار محملا ببعض الأملاح التي يفرزها جسده النحيل بتلامس عيناه فتصبح الرؤية صعبة ..

ترك فأسه جانبا وتوجه إلى شجرة عتيقة نمت دون أن يغرسها أحدا عند أطراف حقله الرملي ..

كم يكون الأمر مضنيا وأنت تحاول تهيئة تربة مالحة للزراعة فالبحيرة القريبة والتي كانت منذ مئات السنين تغطي كل هذه المساحات قد تركت ملحها على أغلب الأراضي التي رأت الحكومة أنه يمكن استصلاحها !!!!

تناول الإناء الفخاري الملفوف بقطعة من الخيش ورفعه على فمه ليجترع الماء البارد يهدئ بذلك تلك الحرارة التي المتصاعدة من جسده...

الهجير يزداد والعمل في مثل هذه الحرارة ضرب من الإنتحار لهذا جلس محتميا بفروع الشجرة الوارفة رغم قصر قامتها إلا أنها تفي بالغرض تماما فربما قيلولة صغيرة تعيد إليه بعضا من نشاطه الذي تساقط بين ذرات عرقه ..

إتكأ بظهره على جزع الشجرة وتناول "قلته " لينال قسطا من البرودة لكنه توقف فجأة وفغر فاهه بشدة !!

كان ما يراه منطقة وسطى بين الخيال والحقيقة هناك على بعد 50متر تقريبا كان جسم صغير يتحرك صورة مهتزة بسبب صهد الشمس الذي تعكسه الأرض بحرارة منبعثة بشدة ..

الأجسام الصغيرة ليست غريبة على هذه المنطقة فقد يكون قطا بريا أو أحد الثعالب المنتشرة هنا أو حتى غزال أبيض من تلك التي تعد المنطقة محمية طبيعية لها ،، لكن الأمر هذه المرة مختلف تماما فهذا الشيء هناك منتصب القامة كالبشر تماما !!!

طفل صغير ؟!!

لكن كيف لطفل أن يتواجد في هذه المنطقة النائية خاصة في مثل هذا المناخ الحارق الذي جعل الفلاحين يعودون إلى منازلهم للقيلولة !!! كما أن تلك المقابر القريبة تثير رعب الكثيرين خاصة ما يحاك عنها وعن جبل ألزينة الذي يضمها من أساطير وقصص ؟!!

- أنت هناك ...

إنطلق نداء مدكور وهو يقفز واقفا لعله يستطيع تبين ذلك الشيء هناك إلا الكائن الصغير لم يلتفت حتى بل أسرع كمن أفزعه الصوت إنطلق مدكور خلفه مسرعا لكن المخلوق الصغير اتجه بسرعة إلى قمة جبل الزينة وعلى بعد كان مدكور في أثره ليجد الفلاح البسيط نفسه بين المقابر الخاصة بأهالي القرى القريبة وذلك المخلوق الصغير إختفى تماما لقد كان سريعا جدا رغم سيقانه القصيرة ..

لهث مدكور بشدة فحرارة الجو صنعت حائلا بين رئتيه والهواء فتعالت أنفاسه بقوة فمال إلى الأمام وعيناه تجوب المنطقة سريعا و...

سمع مدكور حفيف صادر عن بعض الحشائش الجافة إلتفت بسرعة ليجد ذلك الشيء ينطلق بسرعة في اتجاه المنحدر الذي يؤدي إلى الجانب الأخر من التلة ..

إنطلق مدكور في أثره محاولا اللحاق به لكنه تلاشى تماما ..

تنفس مدكور بصعوبة وهو يتفحص المنطقة من حوله لكن دون جدوى فالتلة ليست بالمساحة الشاسعة كما أن المسافة بينها وبين مياه البحيرة لا تتخطى عدة مترات قليلة مما يجعل المكان مكشوف تقريبا ..

بأذيال الخيبة عاد مدكور إلى حقله خائر القوى من أثر هذه المطاردة الغريبة وفي رأسه تدور قصص الأجداد التي ليست لها نهاية بدئا من كنوز قارون الغارقة في أعماق هذه البحيرة مرورا بعروس البحر التي تظهر للصيادون بين فينة وأخرى وبين الجان الذين يسكنون الكهوف والجبال على جانبي البحيرة...

خرافات وأساطير حتمت تلك الطبيعة البكر حدودها ورونقها ورغم أن مدكور لم يكن أبدا من ذلك النوع الذي يستهويه أكثر من كون أرضه يجب أن تكون ممهدة للزراعة فكنزه الدائم يقبع بالقرب من التلة حيث زراعاته إلا أن سره الكبير السر الذي احتفظ به منذ بضع سنوات مضت ..

****

- هل أنتما على استعداد لهذه المهمة ؟!!

خرجت العبارة من حنجرة نائب المدير كحشرجة النزع الأخير في حين نظر حسام إلى زميلته الحسناء الشابة سماح قبل أن يقول :

- سيدي هذا حلمنا منذ سنوات ..

ابتسم نائب المدير ابتسامة غامضة وهو يقول :

- سيكون معكما السيد فؤاد عزمي رئيسا للبعثة ومعه فريق أرجو أن تستفيدوا بخبراتهم ..

قالت سماح :

- حتما سيدي أشكرك ..

تردد حسام قليلا قبل أن يقول :

- اسمح لي سيدي فحتى اللحظة لم نعرف طبيعة البعثة من حيث الموقع والموضوع ؟؟

انطلقت ضحكة خبيثة من فم النائب قبل أن يقول :

- صدقني ستكون عملا رائع بالنسبة لكما ..

استئذنا بالإنصراف وهما يتبادلان نظرات التعجب والحيرة فشيء ما في حديث نائب المدير يبعث على الشك !!

نظرت سماح إلى حسام قائلة :

- هل تعتقد حلمنا سيتحقق أخيرا ؟

مط حسام شفتيه وقال بصوت خرج من أعمق أعماقه :

- أتمنى ذلك ...

ساد صمت تام يعبر بشدة عن انتظارهما لمفاجأة من العيار الثقيل ..

****

صباح اليوم التالي رحب الجميع بحسام وسماح الذين أتفقا على اللقاء قبل الوصول إلى ساحة هيئة الأثار حيث إجتمع أعضاء البعثة ثمانية أشخاص بما فيهم حسام وزميلته ..

تبادل الجميع ابتسامة ودودة إلا شخص واحد بدا واجما صارم الملامح رغم القبعة على رأسه الخاوي من الشعر وصديريته الباجي وبنطاله وحذائه ذو العنق الطويل ونظارة شمسية كبيرة غطت أكثر وجهه إلا أن نظرة نارية إخترقت نظارته السوداء وهو يرمق بها حسام وسماح العضوين الأصغر سنا في المجموعة ، كان هذا هو رئيس البعثة السيد فؤاد عزمي معروف في الهيئة كلها رغم بعثاته المتعددة واشتراكه في بعثات أجنبية عدة إلا أنه روتيني بشكل مقيت يعشق تسديد الخانات الحكومية غير هذا يمقت من يحلو له تسميتهم بالمغامرون الصغار ..لهذا لم يرقه سماح وحسام ..

خلال دقائق كانت سيارتان من نوع شيفورليه نصف نقل ذات الكابينة المزدوجة ملئت صناديقها بالمعدات والمؤن ..

كان طاقم البعثة الثمانية منهم سائقين والستة هم فؤاد عزمي إيمان القاضي بصحبة زوجها حسن وحسام وسماح وعادل مراد ..

كان حسام وسماح في السيارة الأولى وبالمقعد الأمامي ركب فؤاد عزمي بوجهه الصارم وفي يده بعض الأوراق يراجعها فتبادل مع سماح نظرات قلقة قبل أن يقول :

- أستاذ عزمي هل يمكننا أن نعرف طبيعة العمل ؟!!

نظر إليه فؤاد عبر نظاراته السوداء بإزدراء قبل أن يعود لينظر إلى الأوراق في يديه ويقول بصوت خشن جاف :

- بمجرد الوصول سنعقد اجتماع ونشرح الموضوع للجميع ..

كانت الإجابة مخيبة للأمال تماما فسيظل الأمر سرا حتى يصلا إلى المجهول تبادل كلا من سماح وحسام النظرات قبل أن تقول هي في محاولة أخيرة للإطلاع على أية

معلومة :

- سيدي أعتقد أن من حقنا أن نعرف حتى وجهتنا فلسنا بصدد شن حرب هناك ..

زفر فؤاد بشدة وخلع نظارته والتفت إليهما في المقعد الخلفي قائلا :

- إسمعا جيدا إنني أبغض المبتدئين لأنهم دائما يثرثرون أكثر من اللازم ولكنني للمرة الأولى والأخيرة حتى نصل سأجيبكما عن سؤالكما إننا في بعثة روتينية إلى منطقة جبل قطراني ..

أنهى جملته قبل أن يدير حدقتيه بين وجهيهما ويضع نظارته عليهما فيعتدل مرة أخرى ..

نظرت سماح إلى زميلها الذي بدرت منه إبتسامة ساخرة من هذا الرجل الجالس بجوار السائق ..

شقت السيارتين الطريق الممهد بسرعة كبيرة لمدة ساعة تقريبا قبل أن تلوح رسالة ترحيب تشير إلى دخول حدود محافظة الفيوم في الجنوب الغربي للقاهرة ...

****

اقتربت منار زوجة مدكور من زوجها وهي تهمس كمن تخشى من جدران منزلهما الريفي الصغير ومدكور راقد على فراشه يتابع في نهم دخان سيجارته المتصاعد إلى السقف المصنوع من الخشب وقالت :

- يجب عليك يا مدكور التخلص من هذه الكارثة هناك فمنذ سنوات لم نجد لها من فائدة ترجى !!

نظر إليها في ضيق وقال :

- أنا أفكر في الأمر فلو إكتشف أحدهم هذا الأمر سيتسبب في كارثة حقيقية لنا ..

إعتدلت منار ذات الثلاثون عاما وهي تضم ركبتيها إلى صدرها وتقول بنبرة متوجسة :

- لا أدري أين كان عقلك وقتها لتجلب علينا هذا الوبال ؟!!

انتفض في مكانه وقد عقد حاجبيه غضبا :

- وهل ذنبي أنني ظننت أنها قد تجلب علينا الخير كله مثل الكثيرين ؟!!!

- ذنبك أنك احتفظت بها كل هذه السنوات وقد تيقنت بعدم جدواها ..

تنهد مدكور بعمق وقال :

- قريبا جدا سأتخلص منها ..

نظرت إليه بصمت وهي تحاول إختراق حاجز تفكير زوجها وهي تعرف جيدا هذه البئر السحيقة التي تسمى عقل مدكور ...

****

- آذن سنلبث في هذه الصحراء القاحلة ؟؟

قالها عادل عضو البعثة وهو طويل القامة مهندم الثياب معتد بنفسه أنيق في النصف الأخير من العقد الثالث يطلق عليه زملاءه دنجوان فرغم وسامته وأناقته لا تبرح أنثى في العمل لا تحاول التودد إليه بطريقة أو بأخرى ومع ذلك لم يزل أعزب ...

كان عادل مراد ينظر من حوله إلى صحراء شاسعة ربما بعض المزارع الصغيرة يستطيع رؤيتها على مد البصر ..

كان فؤاد يمد أمامه خارطة على مقدمة السيارة وأمامه يقف كلا من حسن مبروك وزوجته إيمان يتطلعان إلى الخارطة في حين كان كلا من حسام وسماح مشرقين الوجه مبتسمين فربما شوقهما لبعثة مثل هذه أنساهما ذلك المكان الموحش الذي يقفان فيه وتلك الرمال الناعمة البيضاء التي أخذت تصنع بعض الدوامات الصغيرة بفعل نسمة هواء منعشة حملت معها بعض اليود قادمة من البحيرة على بعض عدة كيلو مترات قليلة ..

إستغرق السائقين في إنزال الحاجيات من صناديق السيارات مر حوالي النصف ساعة وفؤاد وشريكيه يتبادلان الآشارات إلى الخارطة ثم المكان من حولهم قبل أن ينادي فؤاد بصوته الخشن قائلا :

- الرجاء من الجميع الإقتراب ..

تململ عادل قليلا قبل أن يتبع سماح وحسام اللذين اقتربا من الرئيس الذي قال :

- سنسير من هنا على الأقدام لمسافة كيلومترين فموقعنا هناك إلى الغرب ..

أشار بيده ليرى الجميع قمة جبلية متكتلة حيث لا تظهر أية قمم بالقرب منها ..

نظر عادل إلى حذائه الذي تجمعت عليه الأتربة فيتأفف غير راض ..

كانت وجوه الجميع واجمة باستثناء سماح وحسام اللذين شعرا بطاقة هائلة فللمرة الأولى يشعران أنهما يقومان بعمل حقيقي ..

حمل كلا منهم بعض الأغراض وقد تبعهما السائقين بعد التأكد من غلق السيارات جيدا ...

بعد بضع خطوات نظر إلى المجموعة فؤاد وهو يقول :

- يجب على الجميع توخي الحذر فهناك بعض المناطق من الرمال الناعمة ..

تبادل الجميع النظرات قبل أن يجدوا في السير دون كلمة واحدة ..

لمدة ساعة تقريبا قبل أن يروا أمامهم القمة البركانية الأشهر في مصر جبل قطراني ..

وضع الجميع أثقالهم وبدأوا في نصب الخيام وقد بدأت الشمس في الغروب ..

استغرق نصب المعسكر ساعتين تقريبا وقد حل ظلام دامس لولا ذلك المولد الصغير الذي اعطى الطاقة لمصباح صغير ..

مدت طاولة مستديرة صغيرة الحجم من ذلك النوع القابل للطي وعدة مقاعد غير مريحة إلتف حولها أعضاء البعثة ..

مد فؤاد ورقة كبيرة غطت الطاولة كلها تقريبا بدت واضحة إنها خارطة للمنطقة وضعت عليها بعض العلامات التوضيحية ..

نظر فؤاد إلى وجوه الجميع والتي بدت واجمة من أثر الرحلة وذلك المجهود في إقامة المعسكر الصغير إلا أن شغف الجميع بمعرفة مهمتهم جعلتهم ينظرون إلى

رئيسهم باهتمام بالغ ..

قال فؤاد :

- الأن سأشرح لكم ما نحن بصدده ..

صمت برهة وهو يطالع العيون الشاخصة إليه مرة أخرى قبل أن يشير إلى نقطة على الخارطة أمامه ويرسم بقلم غليظ دائرة حول نقطة معينة ويقول مردفا :

- نحن الأن هنا في هذه النقطة تماما هذه المنطقة ، ربما لم يسمع باسمها الكثيرين منكم ..

نظر إلى الجميع ليتأكد من فضولهم لمعرفة المزيد قبل أن يستدرج قائلا :

- إننا الأن في وادي جهنم ..

قال جملته الأخير وهو يتفرص في الوجوه الممتقعة ونظرات متبادلة بين المجموعة ..وفجأة انفجر عادل ضاحكا في سخرية وهو يقول للجميع :

- مابكم هل أرعبكم الإسم إنها مسميات لا أكثر !!!

رمقه فؤاد بنظرة صارمة جعلته يبتلع كلامه قبل أن يقول حسام متسائلا :

- لكنك سيدي أخبرتنا في الطريق إلى هنا أن هدفنا هو منطقة جبل قطراني ؟!!

نظر إليه فؤاد وقال :

- يبدو أن اسم المنطقة هالكم جميعا فلم تلحظوا إنني لم أنهي حديثي بعد ..إن هذه المنطقة منطقة حفريات تعود لعصر الأيوسين أي مابين 30إلى 40 مليون سنة والمنطقة تعج بمثل تلكوالحفريات وتعود أهمية المنطقة في أن حفرياتها تشكل سلسلة مهمة في تطور الكائنات البحرية من ثدية برية إلى بحرية كما أنها تحتوي حفريات لأجداد سلالات قديمة من وحيد فرس النهر الحالي كما احتوت على حفريات للحيتان ...

قاطعه حسن الذي نطق للمرة الأولى قائلا :

- أعتقد أن حديثك عن وادي الحيتان ؟

قال فؤاد :

- هذا صحيح تماما ..

قال عدل بضيق :

- وماذا إذن عن وادي جهنم وهذا الهراء السابق ؟!!

قالت إيمان متداركة للموقف وقد لاحظت نظرت رئيسها النارية تجاه أسلوب عادل المستفز :

- أستاذ عادل هذا أحد أسماء المنطقة وهناك إسم آخر يطلقه السكان المحليين وهذا أمر متعارف عليه ..

قال حسام بشغف :

- وما هو الإسم الأخر ؟؟

- وادي المساخيط ..

نظر الجميع إلى سماح التي ابتسمت بخجل وهي تشير بهاتفها الخلوي وتقول :

- هذا ما كتب على الإنترنت ...

- السؤال الأهم الأن ما دور بعثة أثرية في مثل هذه المنطقة أعتقد أن مكاننا على بعد كيلو مترات من هذه البقعة فالحفريات ليست تخصص أيا منا ؟!!

كان عصبي إلى حد كبير وهو يوجه سؤاله إلى فؤاد ..

تنحنح فؤاد وقال :

- في مهمتنا هذه لن نكون بمفردنا ...

نظر إليه الجميع متعجبين بشدة فقال حسام :

- ماذا تقصد بأننا لن نكون وحدنا ؟!!!

قال فؤاد :

-الحقيقة أن هناك بعثة أخرى في الطريق ..

- هل سترسل الهيئة فريق آخر إلى هنا ؟؟؟

قالها حسن وقد رفع حاجبيه مندهشا بشدة ، توجهت الأنظار إلى فؤاد الذي بدا جليا أنه مازال لديه الكثير والكثير وبعد صمت للحظات قال :

- الحقيقة أن من سيأتي ليسوا أثريين بل وليسوا مصريون من الأصل ..

- من أي كوكب هم إذن !!!!

بدت السخرية واضحة في نبرة عادل ، لكن فؤاد غض البصر عن هذه السخرية وإستنشق قدر كبير من الهواء وقال :

- هذا كل ما أعرفه حتى الأن أيها السادة كل ما لدي أننا سننتظر هنا حتى يأتي الأخرون ..

قال جملته ليسود على الجميع صمت مطبق والكل ينتظر ما سيحدث ..

****

تحت جنح الظلام كان مدكور يئن تحت وطأة حمله الثقيل ..فتعاعلت صوت أنفاسه النتلاحقة لتحجب صوت تهشم بعض الأعشاب الجافة تحت قدميه ..

فكر مدكور أن ينزل حمله ليستريح قليلا إلا أن الموضوع جد خطير وأي تعطيل قد يتسبب في كارثة وكل ما يتمناه الأن ألا يكون أحد أهالي قريته قد لمحه وهو يتسلل حاملا هذه اللفافة الضخمة ويتجه بها إلى عربة الكارو المجرورة بحمار ..

إلا أن عربته لا يمكن أن تصعد إلى هذا الأرتفاع بالقرب من منطقة المقابر ..

بعد بضع خطوات إلتفت مدكور يمينا ويسارا كمن يتأكد من خلو المكان للمرة الأخيرة قبل أن يضع حمولته ويتجه إلى قاعدة مرتفع صخري صغير أعلى الجبل ويتحسس بيده مساحة صغيرة باحثا عن شيء ما سرعان ما وجده ..

نبش بيده حتى شعر بشيء صلب ..

بدا الإرتياح على وجهه وهو يسرع في إزالة طبقة جيرية عن صخرة مصقولة

انتزعها بسرعة قبل أن يجذب اللفافة ويدسها في الفجوة التي ظهرت لترتسم على شفتيه إبتسامة ظافرة وهو يغمغم قائلا :

- فلتمضي الأن في سلام ...

ضم راحتيه وجمع بينهما الرمال بعدما أعاد الصخرة إلى موضعها وغطاها بالرمال ليخفي ذلك القبو الصغير في الجبل مخفيا سره إلى الأبد ...

****

غط الجميع في نوم عميق داخل الخيام إلا أن حسام الذي ارتفع منسوب الأدرينالين في دمه رفض النوم مداعبة جفونه فخرج من الخيمة ليتنسم بعض الهواء خاصة مع صوت الشجار المستعر بين أنوف باقي الرجال في خيمته ..

كانت السماء صافية مرصعة بماسات تلألأت بشدة هذه الليلة خاصة في هذا الفراغ الذي بدا بلا نهاية لم يعكر صفو هذا المنظر الخلاب سوى ضوء خافت صادر عن مصباح ذو إضاءة صفراء ترهق العين ..

إستلقى حسام على أحد المقاعد القابلة للطي وأخرج هاتفه النقال لتداعب أنامله لوحته الذكية ..

استغرق حسام في مطالعة شيء ما على شاشته الصغيرة قبل أن تلتقط أذنه صوت حركة ليس بالبعيد ...

إلتفت بسرعة ظنا منه أنه أحد الزملاء قد استيقظ من نومه أو لعلها سماح فتكون الليلة قد ازدادت جمالا ..

لكن الأمر المحير أنه لم يرى أحد هنا أو هناك جال ببصره في شتى الاتجاهات حتى اطمأن أنه لا أحد هناك فإعتدل في جلسته مرة أخرى وهو يغمغم " لعله ذلك الهواء "

وبعد لحظات قلائل شهر حسام بشيء غريب كأن أحد ما يراقبه نعم هو يشعر أنه مراقب هذا شعور متعارف عليه ..

نهض واقفا وهو يلتفت يمينا ويسارا لكنه لم يرى على الضوء الخافت للمصباح سوى رمال بيضاء ليس لها نهاية !!!

لقد قرأ ذات مرة أنك يمكنك أن تشعر بمن يراقبك حتى ولو كان من عوالم أخرى حتى أنه عند استيقاظك في وقت متأخر من الليل فحتما قرينك من الجن كان يراقبك ...

نفض حسام عن رأسه هذه الأفكار الضبابية فمن المؤكد أن هذه النزعة مصدرها ذلك الفراغ من حوله مع صوت الريح وإحتكاكها مع الرمال وبعض المعدات ..هذا كل ما في الأمر و...

هنا توقف حسام عن التفكير فجأة فهذا الصوت أوضح من السابق إنها أصوات خطوات نعم خطوات مسرعة على الرمال !!

غمغم حسام قائلا : يا إلهي هل يمكن أن يكون ذئب ؟!!

لكنه أرهف سمعه ليلحظ أن الخطوات بشرية فصوت ذرات الرمال أسفل حذاء واضحة كما أن الصوت يبتعد وبسرعة ..

إلتفت حسام إلى مصدر الصوت لقد كان أتيا من خلف الخيام مباشرة فإنطلق بسرعة إلى مصدر الصوت لعلهم لصوص ..

دار حسام حول الخيمتين بعكس مصدر الصوت ظنا أنه سيباغت اللص ولكنه تفاجأ بالظلام الحالك فالمصباح هناك من الأمام ..

استغرقت حدقتاه لحظات حتى اتسعتا ليستطيع رؤية بعض الظلال وإلى جهة الغرب لمح جسمين يتحركان بسرعة .. كان الظلام حائلا دون رؤية واضحة إلا أنه استطاع تمييز شيء واحد أن الجسمين منتصبي القامة فهما حتما ليسا من ذوات الأربع إلا أن قامتهما قصيرة بشكل ملحوظ ..

إنطلق حسام خلف الشبحين بسرعة إلا أن بعد المسافة جعلهما يسبقانه بمسافة كافية لكنه ظل يطاردهما حتى وجد نفسه في مكان عجيب حيث وقف بين عدة صفوف من الأجسام الكروية بدت في هذا الظلام كأنه معلقة في الفراغ على ارتفاع سنتيمترات قليلة كان عجيب بحق لكن ذلك الجسم الذي تحرك من خلف إحدى الكرات لينطلق باتجاه مرتفع عالي انتزعه من نوبة الآندهاش لينطلق مسرعا خلف ألشبح القصير والذي دار بدوره حول قاعدة المرتفع ..

كان الكائن سريع حقا ويبدو أن الظلام لم يكن يشكل له عائق كبير كما إنه يحفظ

الموقع بشكل جيد فرغم أن حسام تعثر بضع مرات في بعض الصخور الصغيرة إلا أن الكائن الصغير كان يجري بشكل متعرج متفاديا تلك العثرات كأنه يحفظ كل شبر تماما ..

دار حسام حول المرتفع بحذر شديد ليجد أن الظلام قد ازداد وأن الرؤية أصبحت شبه مستحيلة ..

شعر حسام بقشعريرة باردة تضرب أوصاله ..ربما هو الخوف أو ذلك التيار البارد الذي ازداد برودة فكر قليلا فإنه الأن قد ابتعد عن المعسكر الصغير مسافة طويلة والمطاردة الأن ليست ذات معنى في ظل بيئة لا يعرف طبيعتها وظلام يعيق الرؤية ..

تحسس حسام موضع خطواته وهو يعاود أدراجه إلى الخيام محاولا تذكر الإتجاهات وهذا الضوء الخافت المنبعث من خلف الخيام قد دله بشكل أو بآخر إلى طريق العودة ..

ألقى حسام بجسده على فراشه اليابس وقد شعر بالإنهاك من أثر هذه المطاردة الليلية فأسبل جفنيه ليسبح في فضاء لا نهائي ..

****

الفصل الثاني " غابة البطيخ "

لا يدري حسام كم استغرق وهو فيما يشبه إغمائة إلا أن درجة حرارة الجو التي ارتفعت فجأة جعلته يستيقظ مجبرا ليجد أن الوقت قد إقترب من الظهيرة ..

إلتفت حوله فلم يجد أحدا من زملاءه فهرع إلى الخارج ليجد الجميع يجلسون أسفل مظلة مربعة كبيرة وسط بعض الضحكات تارة والهمهمات التي لم يعيها عقله الغارق في النعاس تارة أخرى ..

كان عادل أو من لمحه يقترب إلى المجموعة وهو يفرد راحة يده فوق حاجبيه لتساعد عينيه على النظر من خلال ضوء الشمس المتوهج .

- أخيرا استيقظ أهل الكهف ؟؟

صدرت ضحكات ساخرة من الموجودين على عبارة عادل ماعدا رئيسهم فؤاد الذي تفحص حسام من أغمس قدميه إلى قمة رأسه قبل أن يعود مرة أخرى إلى مطالعة كتاب بين يديه ..

جذب حسام أحد المقاعد وهو يحاول استعادة وعيه كاملا في حين مدت إيمان يدها إليه بقدحا من القهوة التقطه منها سريعا فهو الأن في أشد الحاجة إلى هذه المادة السحرية المسماة الكافيين ...

- ما كل هذا النوم ؟؟

سألته سماح متعجبة فقال بصوت منخفض يكاد يسمع :

- لقد سهرت إلى وقت متأخر ليلة أمس ..

- بمفردك ؟!!

غمزه عادل بعينه وهو يسأل سؤاله الخبيث إلا أن حسام لم يكن في مزاج يسمح بقبول دعابات عادل الثقيلة فتجاهل السؤال وهو ينظر إلى الجميع ويقول :

- هل يعرف أحدكم أي نوع من الحيوانات منتصب القامة مثل البشر ؟؟!!

تبادل الجميع النظرات فيما بينهم فالسؤال كان مفاجئ للجميع إلا فؤاد الذي بدا غير مهتم فلم يرفع عينيه عن صفحات كتابه ..

- لا أعتقد أنني سمعت عن هذا قبل ذلك ..

قالها حسن في حين مطت زوجته شفتيها نافية ..

- لماذا تسأل ياحسام ؟؟

نظر الأخير إلى سماح مجيبا :

- لقد رأيت مخلوقا بالأمس يحوم حول المعسكر يشبه الهيئة البشرية إلى حد كبير

لكنه قصير القامة ربما أقل من المتر الواحد لكنني لم أتبين تفاصيله في الظلام ..

تبادل الجميع النظرات مرة أخرى حتى أن فؤاد رفع ناظريه عن كتابه ليلقي نظرة خفية على وجه حسام قبل أن يختفي مرة أخرى خلف كتابه ..

- هل هاجمك ؟؟

سألته سماح ، فأجاب :

- على العكس بمجرد أن شعر بوجودي فر هاربا فطاردته حتى إختفى خلف تلة مرتفعة وسط الظلام ..

ساد الصمت على الجميع في حين نظرعادل إلى فؤاد قائلا :

- ما رأيك ياسيد فؤاد في هذه الحكاية ..

امتقعت ملامح فؤاد ومرت لحظات قبل أن ينظر إلى عادل قائلا :

-ربما أحد القرود ..

قالت سماح :

- لكن ياسيدي القرود ليست من ضمن الحيوانات المتعارف عليها في المنطقة كما أن القرود ليست منتصبة القامة بشكل كامل !!!!

- ربما هو جن ..

كانت كلمة إيمان إيذانا بموجة من السخرية والضحكات قبل أن يقف فؤاد فجأة ويتجه إلى طريق خلف الخيام مما جعل حسام يتابعه بنظره حتى اختفى ....

نسى الجميع قصة حسام إلا صاحبها الذي ظل يرسم ابتسامات شاحبة مجاملة لبعض المزحات التي لم يسمعها وهو يلقي نظرة بين الفينة والأخرى في الاتجاه الذي سار به فؤاد قبل أن يقفز فجأة ويسرع بنفس الاتجاه .

.. كانت خطوات فؤاد واضحة على الرمال الساكنة وعلى مسافة أكثر من 200 متر تقريبا وجد حسام نفسه أمام مشهد غاية في الروعة فهناك كانت مجموعة من الكرات السخرية متفاوتة الأقطار والأحجام مرفوعة على صخور كأنها حوامل

صنعت خصيصا لحمل هذه الكرات هناك إلى الأمام قمة جبلية قد ترتفع بشكل مثلث أي أن القاعدة تشغل مساحة تقل كلما إرتفعت إلى أعلى لكن المذهل في الأمر تلك التشكيلات الصخرية التي غطت هذه القمة ..

بحث حسام عن فؤاد ليجده يقف عند إحدى هذه الكرات وهو يرفع عينيه عند قمة الجبل ..

إقترب منه حسام بهدوء

- غابة البطيخ روعة الطبيعة ..

تعجب حسام أولا من شعور رئيسه بإقترابه ثانيا لهذا الإسم العجيب فقال :

- غابة البطيخ !!!!

أشار فؤاد بيديه إلى تلك الكرات المتراصة وقال :

- نعم سميت هكذا بسبب هذه التكوينات الصخرية التي تشبه حبات البطيخ ..

هز حسام رأسه وهو ينظر إلى هذا الترتيب البديع لكوينات الطبيعة قبل أن يلتفت إلى فؤاد الذي عاد ينظر إلى القمة الجبلية وقال :

- لماذا نحن هنا ياسيد فؤاد ؟!

ابتسم فؤاد ولعلها المرة الأولى التي يبتسم فيها منذ أن رآه حسام لأول مرة وقال وهو يهم عائدا إلى حيث أتى :

- لقد سبق وأخبرت الجميع ..

نظر إليه حسام متحديا وقال :

- بل أريد مالم تخبرنا به ؟

ضحك فؤاد بانفعال وقال :

- وما هو الذي لم أخبركم به في رأيك ؟؟

- مثلا لماذا تأتي بعثة أثرية إلى مكان مثل هذا ؟؟ من هذا الكائنات التي رأيتها أمس

؟؟من هؤلاء الأجانب الذين ننتظرهم ؟؟

تنهد فؤاد وقال :

- إسمع ياحسام لا تدع بعض الخيالات التي راودتك في الليل وفرضتها الطبيعة أن تتطيح بعقلك فكل ما أعرفه أخبرت به الجميع ....

أنهى فؤاد عبارته وأقفل عائدا إلى المعسكر في حين ظل حسام ينظر إلى رئيسه بغيظ قبل أن يصرخ قائلا له :

- أنا أعلم أن لديك ما تخفيه ؟؟

أشاح فؤاد بيده من خلف ظهره دون أن يتوقف ..

تاركا حسام بين ثمرات البطيخ المتحجرة حائرا يحاول أن يزيح هذا الغموض ..

****

قبيل الغروب سمع الجميع صوت هدير محرك مع عاصفة ترابية صغيرة ما إن هدأت حتى ظهرت سيارتين من سيارات الدفع الرباعي سوداوتين ..

نظر فؤاد إلى الأفراد الذين وقفوا يراقبون السيارتين وهما تقتربان وقال :

- يبدو أن البعثة الأجنبية قد وصلت ..

لم تمر سوى دقيقتين حتى كانتا المركبتين تتوقفان أمام الخيام ليترجل من السيارة الأولى شاب في منتصف الثلاثينات من عمره طويل القامة بشكل ملحوظ نحيل عندما خلع نظارته الشمسية ذات الماركة الشهيرة بدت عيناه زرقاوتين بلون السماء الصافية وشعره الطويل الذهبي ينسدل لسنتيمترات من الخلف تحت قبعته الرياضية وبنطاله القصير وتيشرت ..

نظر الشاب إلى الباب الخلفي لنفس السيارة ليفاجأ الجميع بسيدة ربما تصغر الشاب بقليل شقراء رشيقة بشكل ملاحظ متوسطة الطول وعينيها رماديتين قد جمعت شعرها إلى الخلف على شكل ذيل الحصان ..

لاحظ الجميع أن السيارة الثانية خالية سوى من سائقها وهو رجل أسمر البشرة لف رأسه بشال أبيض كعادة البدو وهي نفس ثمة السائق للسيارة الأولى فيبدو أن السائقين

يتبعان إحدى القبائل المنتشرة في هذه الأنحاء وقد استخدما كدليلين أيضا ..

إقترب فؤاد مصافحا الرجل الأجنبي قائلا بانجليزية لا بأس بها :

- مرحبا بك سيدي أنا فؤاد عزمي رئيس بعثة الأثريين ..

صافحه الرجل في برود وهو ينظر إلى وجوه الفريق في حين تقدم فؤاد إلى المرأة مصافحا إياها فقال الرجل الأجنبي مفجأا الجميع بلغة عربية ذات لكنة أجنبية :-

- السلام أليكم ..

ابتسم الجميع من تلك اللكنة الأجنبية في حين أردف قائلا :

- أنا مايكل ديمسون ومعي زميلتي سارة أدمز ..

اقترب منهما الجميع محيين لهما وتبادل التعارف قبيل أن يجلس الجميع لتناول القهوة في حين غاب كل من مايكل وفؤاد بقدحيهما داخل إحدى الخيمات لأكثر من نصف الساعة مما جعل حسام الذي لم يرفع عينه عن تلك الخيمة فبداخله شعور قوي يخبره أن هناك سر يخيم على تلك المهمة التي لازالت غامضة بالنسبة للجميع منذ الوهلة الأولى ..

كانت سارة رغم ملامحها الجادة إلا إنها قد استغرقت في بعض الأحاديث مع سماح وإيمان اللتين إنطلقت منهما ضحكات متفرقات بين وقت وآخر كما استغرق عادل وحسن كذلك في حديث جانبي حاولا في أحيان كثيرة إدخال حسام فيه إلا أن شغف حسام لمعرفة ما يدور بداخل هذه الخيمة قد جعله في واد آخر ..

بعد مرور نصف الساعة ظهر مايكل عند مدخل الخيمة واقترب وقد رسم على وجهه ابتسامة ودودة وهو ينخرط بين المجموعة بسلاسة آلا أن نظرة خاطفة من سارة صحبها اشارة خفية لم يلحظها سوى حسام الذي ركز بشدة في وجه مايكل منذ خروجه من الخيمة وقد ظهرت جدية مطلقة على وجهه قبل أن ينتزع هذه الإبتسامة الودودة بطريقة بدت احترافية ..

مر بعض وحسام يراقب الخيمة إلا أن فؤاد لم يظهر ، ربما أكثر من نصف الساعة مرت منذ خروج مايكل ومازال فؤاد مختفيا ..

كانت نظرات خفية يلقيها مايكل بين حين وآخر على وجه حسام الذي بدا متجهما

فرجل مثل مايكل لا يمكنه ألا يلاحظ اهتمام حسام بباب خيمة الإجتماع ورغم انخراط الأول في الحديث وألقاء بعض المزحات إلا أن هذا لم يشغله عن دراسة وجوه الجميع ..

قال مايكل مباغتا حسام :

- سيد حسام لماذا أجدك شارد الذهن هكذا ؟؟؟؟

تردد حسام لحظات قبل أن يرسم على وجهه ابتسامة مفتعلة بدت شاحبة وهو يقول :

- لا .. لا شيء ربما نسبة الرطوبة العالية في الجو قد تسببت في بعض الإرهاق لي !!!

هنا تدخلت سارة وقالت وهي تغمز بعينيها :

- إن السيد حسام لم ينم جيدا ليلة أمس ..

تعجب حسام بشدة وهو يرمق سماح وآيمان بنظرة عتاب حادة في حين أردفت سارة قائلة :

- إنه رأى مخلوق غريب وطارده ليلا ..

أطلق مايكل صافرة طويلة متعجبا وهو يقول :

- أوه ..سيد حسام هل تؤمن بوجود الأشباح ؟!!

عقد حسام حاجبيه غاضبا من ذلك الحوار الهزلي إلا أن فؤاد الذي ظهر أخيرا قطع هذا الطريق عندما وقف أمام الجميع وقال بلهجة حازمة :

- إننا مدعوون مع مستر مايكل ومسز سارة إلى حفل ريفي بتونس ..

قال عادل بلهجة بدت حقيقية :

- هل سنسافر إلى تونس ؟!!!

ضحك الجميع ساخرين ما عدا حسام الذي ظل حاجبيه معقودين وهو يرمق سارة ومايكل بنظرات حارقة ، في حين قال فؤاد موقفا موجة السخرية :

- بل قرية تونس على بعد عدة كيلو مترات من هنا ..

قال حسن :

- أعتقد أن هذا جيد فلقد قرأت عن تلق الطبيعة الخلابة هناك فلا مانع لدينا ..

تردد فؤاد لحظات قبل أن يقول :

- نحتاج إلى متطوع للبقاء هنا لحراسة المعسكر ..

صمت الجميع وهم يتبادلون النظرات فقال حسام :

- سأظل أنا هنا ..

اقترب منه فؤاد وقال بلهجة ودودة ربما لأول مرة منذ مقابلتهما الأولى :

- هل تعتقد إنك ستكون بخير هنا ؟؟

هز حسام رأسه مطمئنا له ..

مرت عشرون دقيقة قبل أن يقف حسام مودعا سيارتي الدفع الرباعي وعاصفة رملية خلفتها عجلاتها ..

آستلقى حسام على أحد المقاعد في هدوء ونسمات الهواء العليلة تداعب وجهه إلا أن تلك الأفكار لم تفارقه فما يحدث هنا أمر عجيب فأي بعثة تلك لأثريون في منطقة بيئية وأي غموض يكتنف هذه المهمة ؟؟ إنه على يقين أن هناك خطب ما لا يعلمه سوى شخص واحد فقط في هذا الفريق إنه فؤاد عزمي !! فؤاد ..

تردد صدى الإسم في عقل حسام لحظة قبل أن ينهض من مكانه بحركة لا إرادية ويتجه إلى خيمة الرجال ...

نظر مليا إلى عدة حقائب قبل أن تقع عيناه على حقيبة جلدية عرفها تماما إنها لفؤاد .. اقترب من الحقيبة بتردد وفرك كفيه وقد تعالت أنفاسه بشدة ..

فتح الحقيبة في حذر ..لم يكن بداخلها سوى أوراق مختلفة الأحجام إطلع حسام سريعا على عدد منها لقد كانت جداول تحتوي خانات رسمية وهذا ليس بالأمر الغريب على عاشق الروتين وكذلك احتوت بعض الخرائط للمنطقة ومناطق قريبة وهذا ليس

غريب فالخرائط من صميم عملهم ..كل شيء بدا طبيعيا جدا لا شيء ملفت أو يخرج عن نطاق العمل و...   سقط فجأة من بين الأوراق شيء غريب !!! مختلف عن باقي محتويات الحقيبة شيء لا تتعدى مساحته سنتيمترات قليلة ، لم يحتاج الأمر لمجهود لمعرفة كنه هذا الشيء إنها ورقة من جريدة بالية بل مربع ورقي قد قص من جريدة

بدا أنه مر وقت طويل على صدورها فالورقة قد أصفر لونها بشدة ..

حاول حسام قراءة ما في الوريقة لكن الوقت قد مر مما جعله يفكر أن يحتفظ بها لكنه قد ينكشف أمره وهما أضاءت في رأسه فكرة ..

فأخرج هاتفه النقال والتقط عدة صور للورقة قبل أن يعيدها بعناية إلى مكانها وهنا كان بإنتظاره مفاجأة أخرى ....

****

في سرادق شعبي وعلى جليم صناعة يدوية جلس أعضاء المجموعة بشكل دائري حول بعض آنية الطعام الريفي وقد تعالت الضحكات وكان عادل صاحب النصيب الأكبر من النكات التي جعلت الجميع يضحكون ما عدا فؤاد الذي ظلت ملامحه صارمة جامدة كأنما شيئا لا يعنيه في حين غاب مايكل الذي استغرق في حديث مع أحد السكان المحليين تخلله بعض الشد والجذب مما لفت نظر سماح التي شعرت بعدم ألفة مع المجموعة التي لم تتعرف عليهم سوى من ساعات إلا أن سارة كانت الأقرب لها فهي ودودة وحديثها جذاب بشكل مثير ..

رغم حرارة الصيف إلا أن نسمات البحر الآتية من جهة بحيرة قارون محملة بعبير الطبيعة البكر قد أضفت على المكان جوا جميل ووجوه السكان السمراء رغم نظراتهم المتفحصة لوجوه الضيوف إلا إنها نظرات طيبة وابتسامات رقيقة مرحبة ..

مر بعض الوقت قبل أن تصدر اشارة خفية من مايكل ليتحرك إليه فؤاد عزمي ويدور حوار مع ذلك الرجل للحظات قبل أن يتحرك الثلاثة حتى إختفوا عن الأنظار تماما ...

لم تلحظ سماح اختفاءهما وقد استغرقت في حديث نسائي مع سارة التي استطاعت بمهارة أن تجذب سماح إلى حوار جانبي ..

في هذه اللحظات كان كلا من مايكل وفؤاد يسيران خلف ذلك البدوي عبر دروب

ضيقة كأنها ثعابين صغيرة عبر القرية قبل أن يصعدا عبر ربوة مرتفعة قد مهد خلالها طريق ضيق يؤدي إلى مجموعة من المنازل المنخفضة عبر غابة من أشجار النخيل وبعض شجيرات المانجو حتى إنتهوا إلى منزل صغير فطرق البدوي الباب وما هي سوى لحظات حتى آتاهم من الداخل صوت

- من بالباب ؟؟

- سعيد ..

أجاب البدوي بهدوء قبل أن يفتح الباب ويظهر خلفه مدكور وهو يطالع وجهي كلا من فؤاد ومايكل قبل أن يفسح الطريق أمامهما للدخول ويلقي نظرة على الطريق كمن يطمئن أن لا أحد هناك ..

جلس مايكل وسعيد على أريكة خشبية مغطاة بجليم يدوي الصنع قد اختفت ألوانه وأمامهما جلس سعيد ومدكور متجاورين على أريكة مماثلة فنظر سعيد إلى مدكور قائلا :

- لقد حدثتهم عن الأمانة التي لديك ..

نظر مدكور إليهما متشككا قبل أن يقول :

- أية أمانة تقصد ..

قال سعيد مطمئنا :

- لا تقلق منهما فأنا أضمنهما لك ..

قال مدكور :

- وماذا تريدون ؟؟

- يريدونها !!

- ليس لدي شيء هنا ..

هنا تدخل فؤاد بفراغ صبر قائلا :

- اسمع يا أخ مدكور لا وقت لدينا لنضيعه في هذا اللغط ، لديك شيء يهمنا وسوف

ندفع لك ما تريد ..

قال مدكور موجها حديثه إلى سعيد وقد اتسمت ملامحه بالجدية قائلا :

- لقد أخبرتك أنه لا شيء عندي ..

قال مايكل ل سعيد غاضبا :

- لماذا إذن تحملنا مشقة المجيء إلى هنا ؟!!

انسابت حبيبات عرق بارد على وجه سعيد الذي قال لمدكور غاضبا :

- ألم تخبرني أن لديك شيء وتريد التخلص منه ؟؟!

- وقد تخلصت منه بالفعل لقد تأخرتم ..

قالها مدكور فتبادل كل من مايكل وفؤاد النظر قبل أن يقول سعيد متعجبا :

- لم تخبرني أنك وجدت زبون آخر ؟!!!

- الحقيقة ليس هناك زبائن فلم أبعها ..

قال مايكل :

- أين هي إذن ؟؟

- لقد أعدتها مكانها ..

- في الجبل ؟؟

قالها سعيد في حين قال فؤاد :

- إذن يمكننا الوصول إليها ؟؟

قال مدكور :

- هناك منها العشرات ولكنهم لا يتركونهم بلا حماية وما فعلته أنا كان خطأ فادح لن أكرره مرة أخرى ..

قال فؤاد :

- ماذا تقصد بحمايتهم ؟!! ومن هم ؟؟!

قال مدكور بعد أن تنهد بشدة :

- هم هناك في كل مكان يظهرون ويختفون لقد رأيتهم لكن لا يستطيع أحد الإقتراب منهم ..

تبادل مايكل وفؤاد النظر قبل أن ترتسم ابتسامة رضا على وجهيهما فهذا تماما ما يبحثان عنه ...

****

تسلل حسام خارج الخيمة بهدوء وهو يدس شيئا ما بجيبه في حين لاح من بعيد ضوء الكشافات الأمامية لسيارات الدفع الرباعي ..

ما هي سوى لحظات حتى كان الجميع ينخرطون في ضحكات صاخبة وهم يجترون ذكريات بعض المواقف أثناء تلك الرحلة المسائية القصيرة وما لفت انتباه حسام هو وجه فؤاد الذي بدا مشرقا بشكل خلاف العادة وكذلك سماح التي تعلق بصرها بحسام الذي لم تفارق عينيه وجه فؤاد الذي لم يمضي وقت كثير قبل أن يختفي داخل خيمته عدة دقائق ظهر بعدها بوجه واجم وبصره معلق بشكل شديد التركيز على حسام الذي شعر بأن أمره قد كشف فحاول الإنخراط في مزحات الجميع كأن شيئا لم يكن ..

فجأة تحولت عينا فؤاد إلى مايكل ويميء ايماءة خفية اتجه على أثرها الأخير في اتجاهه ...

عند باب خيمة الرجال وقف مايكل مواجها فؤاد الذي بادره قائلا :

- حسام يعرف الكثير الأن ..

انعقد حاجبي مايكل وهز يقول :

- كيف هذا ؟؟!!

مط فؤاد شفتيه وقال :

- هذا المتطفل عبث بحقيبتي أثناء غيابنا وحتما عثر على معلومات مهمة ..

نظر مايكل إلى حسام الذي أتقن دوره بإنخراطه مع المجموعة إلا إنه لم يتمالك نفسه من مراقبة الإثنان وقد بدت ملامح الجدية على وجهيهما قبل أن ينظر مايكل مرة أخرى إلى فؤاد وقال :

- ماذا كان بحقيبتك ؟؟

- بعض الخرائط الطبيعية إلا أن هناك مقصوصة قديمة لذلك الموضوع الذي جعلني أتصل بكم ومفكرة صغيرة دونت بها بعض الملاحظات ..

-هل تأكدت من عبث أحدهم بأوراقك ؟؟

- المفكرة قد اختفت ..

فكر مايكل قليلا قبل أن يقول :

- اسمع ليس أمامنا سوى التعامل مع الوضع حتى نجد الحل الأقل خسارة ..

قال فؤاد متسائلا :

- ماذا تعني ؟؟!!

قال مايكل وقد اتخذت نبرته عمقا فصدر صوته بإنجليزية سليمة كأنه فحيح :

- لنقنعه بالشراكة حتى يحين الوقت المناسب ..

ابتسم فؤاد وقد راقت له الفكرة تماما وقال :

- وحتما سيحين الوقت ....

****

للمرة الأولى منذ الوصول إلى هذه البقعة النائية في الصحراء الغربية وجد حسام نفسه منفردا مع سماح زميلته التي اختارت البقاء بالخارج عندما دخل الجميع إلى الخيام طلبا للراحة بعد السهرة الريفية ..

- سماح ماذا حدث هناك ؟؟

كان سؤال حسام غريب جعل التوتر يظهر على تقاسيم وجهها وهي تنظر إليه قائلة :

- ماذا حدث فيماذا ؟!!!!

- في تونس ؟؟

هدأت ملامح سماح وقد ظننت أنه يسأل عن الحفل فقالت :

- لا شيء بعض الغناء البدوي والطعام الريفي اللذيذ ..حقا لقد خسرت الكثير ..

نظر إليها بغضب وقال :

- لا أسأل عن الحفل ؟؟

نظرت إليه في دهشة وقالت :

- حسام ماذا بك أنت منذ الليلة الماضية إنسان مختلف حقا !!!!

استنشق نفسا عميقا وهو يحاول تهدئة نبرته ويقول :

- إسمعيني يا سماح سأخبرك بشيء خطير عن هذه البعثة ..

انتبهت إليه بشدة وهي تقول :

- ما هو ؟!!

تراجع في مقعده ورفع رأسه إلى نجوم السماء وقال :

- لا أعرف ما هو تحديدا لكنه حتما أمر شديد الخطورة ..

رفعت حاجبيها متعجبة وهي تقول :

- حسام هل أنت بخير ..

قال :

- الحقيقة لا ..فمنذ بداية الرحلة وأنا أشتم رائحة غريبة خاصة من ناحية فؤاد وازدادت مع ظهور الأجنبيين ..

أمسكت سماح بكتفه وقالت :

- حسام عليك أن تهدأ فكل هذه هواجس ربما صنعتها تلك البيئة الكاحلة من حولنا ..

قال لها بحدة :

- أنا لست مجنون ..بل أنا متأكد أن هناك أمر غامض ولقد اقتربت منه كثيرا ولولا عودتكم في هذا التوقيت لكنت الأن أعرف كل شيء ..

- ماذا تعني ؟؟!!!

- عليكي أن تصبري وستعرفين كل شيء في وقته فقط عندما يحين الوقت وأعرف أنه اقترب ...اقترب كثيرا ...

****

الليلة التالية يرفض النوم أن يداعب جفون حسام فيظل خارج خيمته مستلقي على أحد المقاعد يتابع مجموعة من النجوم في السماء الصافية ..

لم يعرف كم من الوقت قد مر عليه وهو بهذه الحالة كان حقيقة الأمر مستغرق تماما في محاولة فهم ما قرأه توا في ورقة الصحيفة القديمة والتي احتفظ بصورتها على هاتفه ، لقد قرأها عدة مرات وتصوره لها لم يتخطى كونها قصة ساذجة كتبها صحفي مغمور محاولا لفت الإنتباه !!

كان الغريب في الأمر هي تلك المصادفة العجيبة أن هذه القصة تدور تقريبا في نفس المنطقة المعسكر بها كذلك إحتفاظ فؤاد بهذه القصاصة باهتمام بالغ هل هي مصادفة ؟؟!

كانت الأمور في عقل حسام ضبابية بلا ملامح فالبعثة ظاهرها حكومي روتيني ثم تتخطى ذلك إلى ظهور عضوين أمريكيين لا يعرف تخصصهما إلى الأن يبدو أن فؤاد يعرفهما جيدا وذلك بدا في طريقة المحادثات بينهم ؟؟

شعر حسام برأسه تكاد تنفجر فرغم ذكائه إلا إنه لم يكن يوما من هواة حل الأحاجي والألغاز لكنه شعور عميق يؤكد أن في الأمر سر ...

- هل لازلت مستيقظا ؟؟؟

انتزعه الصوت الأنثوي من أفكاره فأعتدل ليجد أمامه سماح التي بدت عيناها مجهدتين فقال :

- أشعر بالأرق ربما بسبب القهوة الزائدة ..

ابتسمت ابتسامة شاحبة وقالت :

- بل بسبب ما تفكر فيه فهو ما أبعد عن عيناي النوموأيضا ..

جذبت أحد المقاعد وجلست قبالته وقالت :

- هناك أمر نسيت آخبارك به ..

نظر إليها باهتمام وقال :

- ما هو ؟؟

ترددت قليلا قبل أن تقول :

- مايكل وفؤاد لم يحضرا الحفل معنا ..

رفع حسام حاجبيه متعجبا وقال :

- أين كانا إذن ؟؟!!!

مطت شفتيها وقالت :

- لا أدري حقا إلا أنهما كانا يحادثان رجلا من أهلي القرية ثم اصطحبهما إلى مكان مجهول ولم يعودا إلا مع اقتراب انتهاء الحفل ..

حك حسام ذقنه مفكرا وهو يقول :

- ترى من هذا الرجل وأين كانوا ؟!!

قالت :

- لم يتحدث أيا منهما في الأمر إلا أن وجهيهما حملا علامات الإرتياح ..

ساد الصمت عليهما لبرهة قبل أن تقول سماح بتردد :

- عندي رأي ..

- هات ما عندك أرجوكي ؟؟

- ربما هم تاجرا آثار فبحسب ماقرأت عن المنطقة أن بها الكثير من الآثار والتي لم تلقى أي اهتمام في البحث والتنقيب مما جعلها مرتعا للمهربين والباحثين عن الثراء ..

هز رأسه موافقا وقال :

- ربما الأمر صحيح لكنه ليس كل شيء ..

نظرت إليه متعجبة وقالت :

- ماذا تعني ؟!!

أخرج هاتفه المحمول وعبث به قليلا قبل أن يناولها إياه ويقول :

- ما رأيك بهذا ؟؟

كانت أمامها مباشرة صورة لقصاصة ورق من جريدة قديمة بعض الشيء قرأتها بأهتمام وعلى وجهها تتناوب تعبيرات الشغف والإثارة والتعجب قبل أن تبعد عيناها عن شاشة الهاتف المضيئة وتنظر إلى حسام وتقول :

- قصة مسلية حقا ..

عقد حسامةحاجبيه وقال :

- ليس هذا ما قصدته بل هي ذات صلة بموضوعنا ..

نظرت إليه نظرة ذات معنى وهي تقول :

- لقد بدأت أتوجس خيفة من طريقتك في التفكير ..

ابتسم مطمئنا وقال بصوت خافت :

- هذه القصاصة كانت في حقيبة فؤاد عزمي يحتفظ بها بشكل مثير للإهتمام وأعتقد أنها تشير إلى ما يبحثون عنه تماما ...

قالت متسائلة :

- هل عبثت بحاجيات الرجل ؟!!

تأفف حسام من ذلك الأسلوب النسائي المثير للإشمئزاز والتعليق على التفاهات وقال :- هل هذا كل ما يعنيكي ؟؟؟ حسنا نعم عبثت بأشيائه لأعرف ما نحن بصدده إن كان هناك سر فلابد من معرفته حتى لا نساق إلى محرقة لا نعرف عنها شيء ..

ضيقت من عينيها وهي ترمقه بإزدراء قبل أن تنهض وتقول قبل أن تغادره :

- أنت تضخم الأمور حقا ...

تركته دون انتظار رد ولكنها لم تتوجه إلى الخيمة بل دارت حول الخيام كانت تشعر بمشاعر متضاربة بداخلها فحسام ليس فقط شريك مكتب في الهيئة بل هو زميل دراسة غير بعض المشاعر الأخرى التي لم ترى النور يوما تكنها بداخلها تجاهه فهي تعرفه جيدا وتعرف حبه للتفكير المنطقي الممنهج وطالما أبهرتها تلك القدرة العجيبة عنده ، هي الأن في أزمة عاصفة فرغم هجومها عليه وعقلها الذي يرفض فكرته فالمنطق هنا غائب تماما من وجهة نظرها كذلك ربما هي تحاول ذلك الشعور بالخوف الذي بدأ يراودها ، رغم كل هذا ثقتها في عقل زميلها المقرب تؤكد أنه يسير في طريق صحيح ...

رئتيها تحتاج إلى هواء نظيف ربما عقلها أيضا ...

على الجانب الأخر كان حسام مازال جالسا شارد الذهن في تلك المعلومات الجديدة ليسمع صرخة هائلة من خلف الخيام ..

عرفها من فوره لقد كان صوت سماح ..

قفز مسرعا في اتجاه الصوت وعند وصوله كانت المفاجأة ..

****

الفصل الثالث " المراقبون "

انتشر الجميع حول المعسكر الصغير يحاولون تتبع أي أثر لسماح التي اختفت بعد صرختها الوحيدة والتي كانت مدوية بحق فانتزعت حسام من مكانه ليجدها قد اختفت كما أن الصرخة كانت كافية لإيقاظ الجميع ...

انقسموا إلى مجموعات صغيرة حيث اتجه حسام وفؤاد جهة الشمال في حين اتجه عادل وسائق إحدى السيارتين إلى الشرق أما مايكل والسائق البدوي الآخر فاتجها غربا في حين ظل حسن مع بصحبة زوجته وسارة والتي بدت هادئة على عكس إيمان المنهارة وكذلك حسن الشديد التوتر ...

رغم الظلام إلا أن بعض المصابيح الصغيرة التي أحضرها مايكل كانت كفيلة بتبديد جزء من هذا الظلام ..

وجد حسام نفسه مرة أخرى مع فؤاد أمام غابة البطيخ مباشرة وقد بح صوتيهما بالنداء دون رد سوى صدى أصوات رفاقهما في أماكن أخرى تردده الصحراء القاحلة ..

كان كل شيء هادئ في الصحراء فلا أثر يمكن تتبعها كأنها أختفت تماما من الوجود ..

نظر حسام إلى فؤاد بغضب وجذبه من ياقته وهو يصرخ قائلا :

- أنت السبب سأقتلك إن أصابها مكروه وهاذين الأجنبيين ..

كان حسام عصبيا بشدة ولكن فؤاد تقبل الأمر بهدوء مريب وهو يقول :

- عليك الهدوء يا حسام فهي بخير حتما ...

نظر إليه حسام متشككا وقال :

- وما يدريك بذلك ؟؟؟

عدل فؤاد من ملابسه وقال :

- اسمع يا حسام لنتحدث بوضوح أنت تريد أن تعرف وأنا سأخبرك فلنكنومتعادلين لكن بشرط ..

- ما هو ؟!!!

- إذا عرفت فيجب أن تكمل إلى النهاية ولا سبيل للتراجع ..

شعر حسام برجفة خفيفة وهو ينظر إلى عيني فؤاد التي بدتا كما لو كانتا تشعان بشعاع غريب ..في حين أردف فؤاد قائلا :

- أنت معنا ستجني الكثير كما إنك ستسترد سماح أيضا والتي يحزننا اختفاءها الغتمض ..

زادت الرجفات في جسد حسام وهو يقف أمام شخص جديد لم يراه من قبل إن صوته الذي بدا كفحيح أفعى تبث سمها جعله يخاف لأول مرة في حياته ومازاد الأمر سوءا سماح الزميلة القديمة بل حبه السري الذي لا يعرفه انسان حتى هي نفسها ..

التقط فؤاد بذكاءه هذا التوتر وهو يقول :

- صدقني أنت شاب ذكي لماح ومثقف وحتى عبثك بأشيائي لم يغير رأيي فيك فلو كنت موضعك لفعلت هذا ..

فغر حسا فاه وهو يسمع فؤاد إنه قد اكتشف ما فعله حسام إذن فلماذا لم يفضحه ..

- منذ متى وأنت تعرف ؟؟

- أعرف حتى قبل أن تفعلها أنا أردت ذلك ...

رفع حسام حاجبيه بدهشة وقد بدأ عقله يعاني من فهم هذا الرجل الشيطاني أمامه ،فلأول مرة شعر أنه لا يملك الرد المناسب إلا أن فؤاد الذي آخذ زمام المبادرة مرة أخرى لهذه الليلة وقال :

- لا تتعب نفسك في محاولة الرد الأن فالحديث بيننا طويل دعنا نكمل بحثنا لعل وعسى نجد أثرا يدلنا ..

تحرك حسام كأنه تحت وطأة التنويم المغناطيسي لهذا الرجل بجواره ..

مر جزء كبير من الليل حتى أصاب الإجهاد الجميع دون فائدة فعادوا إلى المعسكر وهناك كان القلق باديا على وجه حسن وايمان ونظرة مترقبة في عيني سارة ..

جلس الجميع بوجوه شاحبة ما عدا حسام الذي كان شبه غائب عن الوعي فلم ينبث ببنت شفاة في حين قال عادل والذي اختفت روح الدعابة عنده :

- لنبلغ الشرطة ..

نظر إليه حسن وقال :

- هذا صحيح لماذا لا نبلغ الشرطة ؟!!

قال فؤاد بصرامة :

- أية شرطة في مثل هذا المكان ؟؟ إننا في مصر ياسادة !!

صمت الجميع وساد الوجوم على الوجوه لوقت طويل ..

****

شعرت سماح بصداع يكاد يشق رأسها إلى نصفين فوضعت كفها على موضع الألم وآنة لا إرادية تخرج من فمها ، بصعوبة بالغة فتحت عينيها لتجد نفسها في مكان غريب إلتقطت أنفها رائحة عطنة وهواء معبق بروائح متداخلة .. كان المكان يكاد يكون مظلما إلا من ضوء آت عبر فجوة يتراقص فيبدو أن مصدره مشعل بدائي .. غرابة المكان جعلتها تستعيد كامل وعيها بسرعة وتنظر من حولها محاولة استكشاف المكان المحيط إلا أن صداع رأسها كان قويا فعادت برأسها إلى الجدار الذي اسندت عليه ظهرها لتشعر بوخزة في مؤخرة رأسها من أثر سطح مدبب فالتفتت لتجد أنوهذا الجدار عبارة سطح صخري غير مصقول ولا حظت كذلك أن الأرضية كذلك إنها في مكان يشبه الكهف بل هي في كهف في باطن أحد الجبال ..

جحظت عيناها فجأة رعبا عندما اكتشفت حقيقة المكان حاولت النهوض للبحث عن مخرج إلا أن دوارا شديدا أعادها إلى موضعها وصرخة ألم مكتومة رغما عنها ..

استسلم جسدها لسقوطه ولكن عقلها المشوش بدأ في طرح العديد والعديد من الأسئلة

أين هي ؟؟ أين باقي المجموعة ؟؟ كيف أتت إلى هنا ؟؟ لم تستطيع أن تسترخي وسط هذا المجهول الذي يحيط بها إلا أن صوت خطوات تقترب جعل برودة تسري في عمودها الفقري وهي تلمح ظل ضخم جدا يظهر من فجوة جهة اليمين يبدو أنه يستخدم كمدخل للمكان ..

تابعت ذلك الظل الذي أخذ يتقلص رويدا رويدا حتى ظهر أمامها مباشرة عند المدخل أغرب مخلوق رأته في حياتها مما جعل فكها السفلي يسقط وبشدة ..

****

- مراقبون ؟!!!

انطلقت الكلمة من فم مايكل كأنها صرخة قبل أن تشير له سارة بخفض صوته وتقول :

- نعم حسام رأى أحدهم بالقرب من المعسكر قبل وصولنا وهذا هو سبب شكه المتزايد هكذا أخبرني الجميع إلا آنهم يشككون في حديثه ..

زام مايكل قبل أن يقول :

- إذن هم موجودين كما أخبرنا هذا البدوي !!!

- بل هم قريبين جدا ...

كانا يقفان بعيدا عن المجموعة التي جلست يسودها صمت مطبق متفكرين في زميلتهم التي اختفت بشكل غامض ما عدا فؤاد الذي اختفى داخل خيمته ..

فجأة نهض حسام دون حديث واتجه إلى الخيمة ودخل دون استئذان وهو يقول لفؤاد الذي تمدد على فراشه :

- هل القصة الموجودة في الجريدة حقيقية ؟؟

اعتدل فؤاد في هدوء كأنه لم يتفاجأ باقتحام حسام الفج لخلوته وقال :

- ماذا تظن أنت ؟؟

قال حسام بدهشة :

- أنت هنا من تعرف لست أنا ..

ضحك فؤاد وقال :

- حسنا لتهدأ وسأخبرك كل شيء ولكن عدني ألا تخبر أحدهم بما أقوله ..

رفع حسام حاجبيه متعجبا وقال :

- هل تعني أن الجميع يجهلون ما نحن بصدده ؟!!

أومأ فؤاد برأسه موافقا فأردف حسام قائلا :

- وماذا عن تشكيل البعثة عن طريق الهيئة ؟؟

قال فؤاد :

- الأمر بسيط جدا فالمدير يريد بهثة روتينية غير مكلفة وكان من السهل الإيعاذ إليه بالمنطقة لقربها من القاهرة وانخفاض تكاليف الرحلة وقد تركت له اختيار المجموعة ..

- إنك شيطان حقا !!!

ضحك فؤاد بملئ فاه وقال :

- بل الطموح والأمل .. اسمعني جيدا أنا أعمل في الهيئة منذ 30عاما مضت شاركت في اكتشافات مذهلة بحق نسبت جميعها لبعثات متعددة الجنسيات رغم دوري البارز فيها لكن كما تعرف بلادنا وثقافة الخواجة ..درست وقرأت وترجمت مخطوطات القدماء وفي النهاية يأتي أجنبي وينسب إليه جهدي ومع اقتراب النهاية وتقاعدي كان لابد أن أصنع لنفسي مجدي الشخصي ووجدت فرصتي أخيرا لأصنع مجدي كما أن بعض المال ليس سيء ...

كان ما يقوله فؤاد غريب بكل ما تعني الكلمة من معنى فحسام يجلس أمام شخص معتل نفسيا بلا شك .. ولكن الأول أردف قائلا وهو يعي نظرات حسامةجيدا :

- أنت حتما تعتقدني مجنون لكنك مخطئ تماما لأن هذا هو التفكير الوحيد السليم الذي أفعله في حياتي إنني مقبل على تغيير العالم كله من هذه المنطقة ..

- لازلت لا أفهم شيئا !! هل نحن هنا لاكتشاف مقبرة فرعونية قديمة ؟؟

- لا بل أهم وأكبر من مجرد مقبرة فرعونية إننا بصدد العودة إلى ما قبل الفراعنة بعشرون ألف سنة أو يزيد ولكن هذه المرة عن أحياء لا مقابر ...

سقط فك حسام وهو ينظر إلى فؤاد قبل أن ينفض دهشته جانبا ويقول :

- إذن أنت مقتنع بالقصة الموجودة في الجريدة ؟!!!

- بل متأكد منها والأدلة كثيرة ولقد بحثت الأمر جيدا ..

نظر بتفحص إلى وجه حسام الذي ألجمته الدهشة مما يسمع قبل فغمز له وأستدرك قائلا :

- أنت نفسك رأيت الدليل على صدقي ...

فغر حسام فاه وهو يقول :

- أنا !!!!!

- ذلك المخلوق الذي طاردته تلك الليلة أحدهم كان يتلصص علينا ..

زام حسام وهز رأسه قائلا :

- إذن بدأت الصورة تضح ..

قال جملته ثم نظر إلى فؤاد وقال :

- لماذا تخبرني الأن بكل هذا ولماذا أنا تحديدا ؟!!

حك فؤاد ذقنه بسبابته وقال :

- أنا رجل عجوز ولا يمكنني القيام بذلك بمفردي وأنت شاب طموح وذكي فأنا أحتاجك معي ..

- وماذا عن الأجنبيين ؟!!

- أنت تعرف لا يمكن الثقة بالأمريكيين خاصة إذا كانا من المغامرون صائدوا الكنوز ..إنهم فقط مجرد ممول لا أكثر ..

فكر حسام قليلا والتفت إلى فؤاد قائلا :

- وماذا عن الباقين ؟؟

- أنا أفكر الأن حقا في طريقة للتخلص منهم ..

صرخ حسام :

- هل ستقتلهم ؟؟

ضحك فؤاد بشدة وقال :

- يا حسام أنا لست قاتل بل أقصد إلهاءهم ولكن المشكلة فيما استجد من أحداث ..

ارتسم حزن مفاجئ على وجه حسام وهو يقول :

- وماذا عن سماح ؟؟؟

ضربه فؤاد في كتفه برفق قائلا :

- سماح سبقتنا إلى هدفنا أنا متأكد من ذلك ....

قال حسام متعجبا :

- ماذا تعني ؟!!!

- إن من اختطفوها هم الأقزام وهي حتما في ذلك المكان الذي نقصده ...

شرد ذهن حسام وهو يتخيل أين قد تكون سماح في هذه اللحظة وما قد تواجهه هناك ...

****

اقترب قزم بشع الخلقة من سماح ونظر إليها بعينيه المستديرتين كمن يتفحصها جيدا ..

كانت هيئته العامة تشبه بشكل كبير البشر إلا أن قامته التي لم تتخطى المتر تقريبا وذلك الجسد النحيل بشكل لافت وقدمين كبيرتين لا تتناسبان مع قصر قامته رأسه خالية من الشعر إلى من شعرات خفيفة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة وجهه مستدير كامل الإستدارة أفطس الأنف أذنه كبيرة الحجم ..

بشرته وردية بشكل ملفت كأنه طائر نزع عنه الريش حالا ..

كانت هيئته خاصة بجسده الوردي العاري تماما ماعدا من إزار قصير يستر مابين

فخذيه يثير قشعريرة بجسد سماح التي حاولت أن تفهم هذا الكائن أمامها وهو يلوي عنقه يمينا ويسارا ويتفحصها بعينيه الرماديتين بالكامل فلا بياض ويصدر من حلقه صوت شبهته سماح من فورها بنقيق الدجاج ..

مرت دقيقة كاملة والقزم الغريب يتفحصها قبل أن يمد أنامله ليلامس وجهها كأنهما يتأكد أنها حقيقية تماما كما يراها كانت أصابعه طويلة جدا بشكل لافت تكاد تكون خالية من اللحم سوى من طبقة جلدية رقيقة تداري عظامه ..

ما آن لمست راحته الخشنة وجه سماح حتى انتفضت الأخيرة واقفة لتكتشف فرق الطول الشاسع لكن الغريب أيضا أن المخلوق الصغير قد تراجع بسرعة كأنه يخشاها بقدر ما تخشاه ...

ثبتت سماح في مكانها بعد هذه الملاحظة الأخيرة فالكائن أمامها يخاف منها ..

اقتربت منه خطوة ومدت يدها إلى رأسه الخالي من الشعر ولكنه تراجع مرة أخرى فقالت كأنها تداعب حيوانها الأليف :

- هل أنت خائف مني ؟؟

هز رأسه موافقا وهو يرمش عينيه ببطئ فتبدو حدقته لامعة كأنها مصنوعة من الزجاج ..

ابتسمت سماح محاولة طمأنته وقالت وهي تنظر حولها :

- هل هذا منزلك ؟؟

هز رأسه في وجل موافقا ..

في حين اردفت قائلة :

- هل أنت بمفردك هنا ..

أشار بوجهه رافضا يعني أنه ليس وحيدا وأن هناك غيره ..

قالت متعجبة :

- وأين الباقين ؟؟

أشار باتجاه الباب مشيرا إلى وجودهم بالخارج قبل أن يتحرك باتجاه المدخل ثم استدار إليها وأشار بإصبعه لها أن تتبعه ...

تبعته في هدوء لتجد نفسها تسير عبر ممر صخري طويل شق في باطن جبل ما يسير لمترات قبل أن ينحرف يمينا لتجد نفسها في كهف أخر واسع ربما ضعف مساحة ذلك الذي وجدت نفسها فيه وصوت كنقيق ألف دجاجة عرفت بمجرد النظر أن هناك ربما عشرون أو أكثر من الأقزام يتشابهون مع صاحبها ربما لا يمكن التفرقة بينهما باستثناء أنها لاحظت أن بعضهم كانت بشرته تميل إلى الرمادية وأخرى إلى الإحمرار الزائد وبعضهم ربما يتداخل مع لونهم الوردي مسحة خضراء ..

انتشر داخل الكهف عدد من المشاعل البدائية أضائت المكان ..إلتفتت حولها لترى العشرات من تلك العيون الزجاجية المستديرة ترقبها بريبة وتشكك ، كان الجميع يقفون ما عدا واحد بدا أسمن منهم قليلا يمسك بيده بفرع شجرة جاف مشقوق من أعلى كأنه شوكة ...

كان من الجلي أن سماح في حضرة القائد بل تقف أمامه مباشرة ..

أصدر القائد صوت النقيق هذا ولكن سماح فهمته لقد كان يتحدث إلى الدليل الذي قادها إلى هنا وقد انحنى رأس الأخير في احترام وتبجيل وهو يسمع هذه النقنقة قبل أن يرفع رأسه ويلتفت إلى سماح التي تفاجأت بأنه يجيد الكلام وقال :

- يسألك سيدي لماذا جئتم إلى هنا ؟؟

كان صوته رفيعا كأنما يتحدث من أنفه لغته عربية تشبه اللكنة المحلية للأهالي كما سمعتها أثناء زيارتها للقرية الليلة الماضية فكادت تضحك ساخرة من هذا الصوت إلا أنها تماسكت وقد بدأت الطمأنينة تدب في أوصالها فهي لا ترى أي أسلحة أو حتى مخالب وأنياب لهذه الكائنات التي بدت ودودة رغم حجم أفواههم الكبيرة وأسنانهم العريضة الصفراء المتباعدة ، نظرت فيمن حولها قبل أن تجيب :

- بل أنتم من أتيتم بي إلى هنا !!!!

أصدر دليلها كأنه يترجم للقائد ما قالته قبل أن يجيبه الأخير ببضع نقنقات ترجمها لها الأول قائلا :

- بل يقصد سيدي أنتي وهؤلاء البشر هناك في منازل القماش ؟؟

فهمت أنه يقصد خيام المعسكر فقالت :

- إننا بعثة استكشافية من هيئة الأثار ..

قال المترجم مستفهما :

- آثار ؟؟؟؟

هزت رأسها موافقة وهي تشرح له المعنى قائلة :

- نعم نبحث عن حضارات الأولين وبقاياها منذ آلاف السنين ..

ترجم المترجم الجواب للقائد الذي هز رأسه وقد فهم الجواب قبل أن يطلب من مترجمه جملة أخرى ينقلها إلى سماح قائلا :

- ولماذا اخترتم هذه البقعة تحديدا هل تعرفون أن بها أيا مما تبحثون عنه ؟؟

مطت شفتيها وقالت :

- في الحقيقة لا أعرف عماذا نبحث هنا فلا أعتقد أننا في المكان الصحيح ..

قال القائد عبر مترجمه :

- أنت على حق فإن كنتم مسالمون فأنتم في خطر كبير كما أن وجودكم خطر علينا وعلى مجتمع البنيون ..

إذن هم يسمون بالبنيون مفردهم بني بكسر الباء قالت :

- وهل اختطفتموني لترهبوننا ؟؟

ضحك القائد وقال :

- بنيتي نحن لا نرهب أحد فنحن مجتمع مسالم لا نؤذي أحد كل ما نريده أن يتركنا الجميع بسلام فيكفي ما عانيناه منذ عشرات الألاف من السنين ..

رفعت حاجبيها في دهشة وسألته :

- ماذا تقصد ؟!!

تحدث القائد الى مترجمه الذي قال :

- لقد طلب سيدي أن أخبرك بكل شيء لكن على أن تعديه بأنكي لن تخبري أيا كان بوجودنا فقط اقنعي أصحابك بالذهاب من هنا ..

كان الفضول يقتل سماح وهي تجد نفسها في هذا الموقف الذي بدا حلما أو دربا من الخيال فهل يمكن لأحد أن يصدق أنها تقف بداخل جبل وحولها مخلوقات قزمية عاقلة بل وتتحدث أيضا فقالت :

- هات ما عندك ..

بدأ البني الصغير يروي لها كل شيء منذ البداية وحدقتيها تتسعان أكثر وأكثر فما تسمعه درب من الجنون حقا ...

****

الفصل الرابع .." جبل جهنم "

- هذا الصحفي كتب عن زيارته السريعة لمدينة يسكنها شعب قديم جدا سبق بالحياة على الأرض الإنسان بعشرات الألاف من السنين أثناء بحثه عن كتاب قديم ..في البداية كان الأمر مجرد قصة مثيرة لا تتخطى حاجز خيال مؤلف بارع إلا أن مصادفة قادتني في إحدى المناسبات للقاء سيف الدين محفوظ وهو ذلك الصحفي الذي كتب هذا الموضوع وأثناء حديثنا أكد لي أن كل ما كتب حقيقي تماما وروى لي قصة كتاب قديم اسمه العزيف كتبه شخص مجهول منذ ألف سنة تقريبا واستطاع من خلاله التواصل مع ما أسماه الكيانات القديمة ..

صمت فؤاد ليلتقط أنفاسه قبل أن يستطرد قائلا :

- كان سيف مقنعا جدا فلقد أشار إلى أدلة كثيرة ومراجع فالرجل كان قد أضناه الموضوع بحثا ورغم مرور السنوات لم يمل في البحث والتنقيب ..مرت ليلتها وأنا

لم أذق طعم النوم أفكر في حديث الرجل ومع مرور الأيام نسيت أو تناسيت الأمر حتى جاءت مصادفة أخرى فاشتركت في بعثة ألمانية كانت في مهمة علمية بالقرب من هنا حيث أقدم طريق ممهد في التاريخ كله وكان يستخدم في نقل البازلت التي كان يستخرج من المنطقة وذات ليلة حدث معي ما حدث لك تماما ورأيت مجموعة منهم وهنا تذكرت كل ما كان من أمر الصحفي وقصته إذن الأمر صحيح !!!

كتمت الأمر لحين عودتي وبحثت وبحثت فوجدت أن مدن الأقزام قد ظهرت في أماكن أخرى مثل الهند وغيرها إذن الأمر لم يكون غريب حتى قادني صديق ذات مرة عن طريق الإنترنت إلى شخص يسأل عن مومياء عجيبة قد عثر عليها واستدرجته حتى بعث إلي بصورة لها لقد كانت لقزم يشبه البشر إلى حد بعيد وقد خضع لعملية تحنيط تختلف عن تلك التي رأيناها لدى الفراعنة ..عندها اتخذت قراري بالبحث وخاصة أنه نفس المكان تقريبا الذي وصفه الصحفي في قصته فالمسافة لا تتخطى كيلومترات وبالفعل بدأت البحث عن ممول وقد وجدت مايكل وسارة اللذين تحمسا للفكرة في مقابل الحصول على نماذج من المومياوات والأثريات القيمة إن وجدت ...

كان ما يسمعه حسام شديد الغرابة فلقد شعر بأنفاسه تتلاحق من فرط الإثارة والحماس إلا إنه قال فجأة :

- ولكن إذا كانوا قد إكتشف مدن أخرى لهم فليس ثمة إضافة جديدة لك !!!

قال فؤاد :

- أولا الإختلاف هو أنهم أحياء وهذا أمر يستحق المغامرة وأنت رأيت أحدهم وأنا كذلك بل أكد لي ذلك المزارع الذي عثر على المومياء إنهم يظهرون كثيرا !!! ثانيا الجزء الأهم أن الأقزام ليسوا أولوياتي بل هم سبيلي لشيء أهم وأكبر بل وأخطر ..

- ما هو ؟!!

- إنه.....

قطع صوت صراخ مفزع هذا الحديث جعل كلا من حسام وفؤاد يهرعان بسرعة إلى الخارج ولكنهما لم يجدا سوى سارة ومايكل اللذين وقفا مذهولين فنظر حسام إليهما وقال :

- ماذا يحدث ..وأين الباقي ؟؟؟؟

قالت سارة :

- لا ندري فلقد سمعنا صيحاتهما وعندما حضرنا من خلف المعسكر لم نجد أحد .و

...

قال فؤاد صارخا بغضب :

- وماذا ؟؟!!

قال مايكل بصوت متهدج وأنفاسه تتصارع :

- لقد كانت الرمال هناك تبتلعهم ..

أشار إلى منطقة تبعد عشرون متر أو أقل انطلق حسام بشكل لا إرادي إلى حيث أشار مايكل وهو يتفحص الرمال ولكن لا أثر فنظر إلى مايكل وقال غاضبا :

- لا شيء هنا كل شيء كما هو و...

صمت للحظة وهو يلتقط شيء من الأرض إنها ربطة شعر إيمان ..

ساد صمت على الجميع وقلوبهم ترتجف وبعنف ....

****

كانت ما تسمعه سماح أمر شديد الإثارة والغرابة من ذلك البني الصغير الذي روى لها منذ البداية تعود قصته إلى بضع ملايين من السنين عندما سكن البن هذه الأرض كأول جنس عاقل ذو تكوين أقرب للبشر وارثين بذلك السن وهم جنس منقرض كانوا نصف شجر ونصف بشر فأطرافهم تشبه فروع الشجر بشكلها المعروف إلا أن البن في بدايتهم كانت هناك العديد من القبائل المتحاربة فبدلا من أن يعمروا الأرض سارعوا إلى خرابها وإراقة الدماء فيها حتى سلط عليهم كائن أقوى ذكاءا وسدا في البداية كان الحن مجرد عبيد يسخرون في الأعمال الصعبة التي تحتاج قوة بدنية لا يستطيع البن على أداءها بأجسادهم الصغيرة وسرعان ما اكتشف الحن نقطة تفوقهم فثاروا وفتكوا بملايين الملايين من البن الصغار حتى كانت لهم الغلبة بقوتهم وذكائهم الذي لم يمنعهم من الوقوع في نفس الأخطاء فتقاتلوا وتصارعوا من أجل السلطة

والنفوذ فصنعوا الأسلحة الفتاكة حتى أودت بمعظمهم فهجروا ومعهم ما تبقى من البن الأراضي والوديان وسكنوا الجبال والكهوف إلا أنهم لم يزالوا بقسوتهم وعنفهم فاستعبدوا البن وسخروهم لمئات السنين واستمر الوضع حتى ظهر الإنسان وبدأ في بناء حضارته وأثبت أنه الأذكى والأحق أن يعمر هذه الأرض ...في البداية كان الحن والإنسان يعيشون في كثير من الأماكن متجاورين ربما لعشرون ألف سنة أو يزيد بل وصل الحد إلى التزاوج والتناسل حتى بدأت عصور الحضارات ووجد الحن أنفسهم أضعف من أن يقاوموا هذا المخلوق الذي لا يتوقف عن البحث والمعرفة فظنوا جهلا أن مصيره سيكون نفس مصير من سبقوه فعادوا إلى الكهوف والجبال منتظرين عودتهم لقمة السلطة بعد أن ينهار المجتمع البشري ، أما البن فقد تعلموا الدرس جيدا وأن ما ذهب لن يعود فتكونت مجتمعات صغيرة مسالمة اختفت كالحن عن أعين الناس فتجربتهم المريرة مع الحن جعلتهم يتحاشون البشر فقد تكون النتيجة استعباد جديد من جنس أقوى لجنس أضعف .. والحن مازالوا في الإنتظار لكنهم بدأوا في التململ وهم يرقبونكم في هدوء وهم قوة لا يستهان بها ..

قالت سماح التي بدت كأنها في عالم آخر :

- لماذا إذن كشفتم أنفسكم لنا وأتيتم بي إلى هنا ؟؟؟

قال البني الصغير :

- إن مدينة الحن قريبة من هنا وقد علمنا أنهم يوشكون على الخروج ورصدنا حركة لهم حول مخيمكم فأردنا تحذيركم ولأننا نخشاكم فقد لجأنا إلى حملك أنت منفردة لتبلغي من معك بخطورة الموقف ..

- ولكن لماذا تحمون البشر ؟!

- نحن لا نحميكم بل نحمي أنفسنا فأنتم كنتم أفضل كثيرا منهم وإن كنا نشعر بكره لكم عندما تعبثون بمقابرنا إلا أن أحيائنا أولى بالحماية فلسنا على استعداد أن نعود إلى حظائر العبيد مرة أخرى على أيدي الحن ..

- ماذا تريدون إذن مني ؟

- إن أحدكم سيحاول فتح باب سجن أغلق على الحن قد صنعه رجل قديم لا يسمح لهم بالخروج إلا بقدر الحاجة أي كل جيل أو جيلين يمكن لعدد قليل منهم الخروج لكن لا

يسبب خطرا يذكر وهذه البوابة المرصودة هي مفتاح خروجهم ويجب ألا يقربها أحد ونحن نشك أن هذا هو هدفكم وهم سيسوقونكم لفعل هذا فيجب أن تبلغيهم بألا يفعلوا .

كان ما تسمعه يقع في منطقة مظلمة في عقلها عالقة بين الحلم واليقظة لكنها حاولت أن تتماسك جيدا وهي تسأل قائلة :

- ومن هو ذلك الشخص المجهول الذي اكتشف المؤامرة ؟!!

- إنه الحكيم أمحوتب ..

-المهندس المصري القديم ؟؟؟!!!!

- نعم هو وكعقاب قتله بعض الحن الذين سمح لهم بالخروج للتجول ..

- مممم لهذا إختفى أثره من التاريخ فجأة !!!

- عليك الأن العودة وأن تلحقي بهم قبل أن يفعلوها وتذكري أنكي لم ترينا ..

هزت رأسها موافقة وهي حقا لا تعلم ماذا ستفعل بالفعل لإيقاف تلك الكارثة الكونية ..

****

وقف حسام وفؤاد ومايكل وسارة مشدوهين وهم ينظران إلى تلك البقعة التي اختفى فيها الثلاثة أعضاء البعثة ..

- لقد مررت من هذه النقطة أكثر من مرة ولم ألحظ أن بها رمال متحركة ؟؟

قالها مايكل بتعجب فقال فؤاد :

- حولنا الكثير من الرمال الناعمة لكن متحركة فلا أعتقد هناك شيء آخر حتما ثم هل من المنطق أن تبتلع الرمال الثلاثة في وقت واحد وبهذه السرعة ؟!!

قال حسام وهو يفكر :

- بل جذبهم شيئا ما إلى أسفل ..

تبادل الجميع نظرات القلق وشمس الصباح تتحرك ببطئ إلى كبد السماء وبين هذا

الصمت حسم فؤاد أمره وقال :

- أعتقد أن الوقت قد حان لنبدأ ما جئنا من أجله ...

لم يجبه أحد بل تحركوا إلى اتجاه الخيام أما مايكل فقد توجه إلى السيارتين وفتح الحقيبة الخلفية ليستخرج ثلاثة حقائب ظهر كبيرة وما أدهش حسام بندقيتين قصيرتين أمسك بهما مايكل فنظر إلى فؤاد الذي ربط على كتفه مبتسما وقال :

- الحرس واجب ..

لم يتسائل حسام كثيرا عن كيفية حصول مايكل على السلاح وهو يلتقط إحدى البنادق ويقول :

- أنا أجيد استخدامها لقد تدربت عليها أثناء التجنيد ..

قال فؤاد وهو يحمل إحدى الحقائب :

- هذا جيد ..

تحركت القافلة الصغيرة خلف فؤاد الذي بدا يعلم جيدا أين يذهب فالمكان لم يكن بعيدا جدا فوجد حسام نفسه ومعه المجموعة الصغيرة يجتازون حقول البطيخ الصخري متجهين إلى الجبل وهنا أشار فؤاد قائلا :

- أقدم لكم جبل جهنم أو جبل قطراني بركان خامد منذ عشرين ألف سنة ارتفاعه 400 متر عن سطح البحر 350متر عن السطح المحيط ومركز أهم زلزالين ضربا مصر خلال القرن العشرون أخرها 1992م الشهير ..

قال حسام :.

- وبعد هذه المحاضرة ؟!!

اغتاظ فؤاد من تهكم حسام ولكنه تمالك نفسه وقال :

- بحسب القصة فهنا يقع المدخل لمدينة سرية تقبع تحت الجبل وعلينا العثور على الباب ومن ثم المفتاح ..

قال مايكل :

- أنت صاحب القصة فدلنا ..

قال فؤاد :

- بحسب القصة إننا يجب أن نلتف حول الجبل باتجاه الغرب ..

تحركت المجموعة مباشرة لينحرفوا مع سفح الجبل الذي أصبح على يمينهم من خلال ممر صخري ضيق غير ممهد كادت سارة أن تتعثر خطواتها لولا حسام الذي كان خلفها مباشرة فأمسك بذراعها فابتسمت له شاكرة وهم يكملون السير وعند الجهة الغربية للجبل كان أمامهم مجموعة من التلال الأقل حجما تتراص عبر منحنى مائل ليهبط أكثر من عشر مترات تقريبا عن السطح السابق وفجأة توقف فؤاد ونظر إلى المجموعة وقال :

- من هنا نبدأ البحث فحسب الصحيفة نحن أقرب ما يكون من المدخل ..

كان الجبل مكون من طبقات رسوبية رقيقة في هذه النقطة إلا أنه لا شيء غريب كما أن المساحة كبيرة غير الإرتفاع فقد يكون المدخل مرتفع عن الأرض ..

كان الأمر محيرا حقا لكن فؤاد قال بحزم :

- لم يذكر الصحفي أي تسلق لجبال فالأمر إذن بين أيدينا حتما قال حسام بثورة :

- إني أراك متمسك جدا بهذه الرواية بلا سند أو دليل وها نحن الأن نقبع داخل متاهة جبلية نبحث عن ابرة في كومة قش بل تلال قش !!!

- حسام عنده حق وأنت لم تخبرني أن الأمر سبكون بهذه الصعوبة ؟!!

قالها مايكل مصدقا على قول حسام فقال فؤاد :

- انكم تتململون أن تكلفوا أنفسكم عناء بحث قليل ..

تبادل حسام ومايكل النظرات قبل أن يفتح الأخير حقيبته ويخرج بعض المعدات الصغيرة يناولها للجميع إنها لقشط تلك الطبقة الرسوبية الرقيقة عن سطح الجبل وبدأ الجميع في أخذ مواقعهم وازالة هذه الطبقة بكشطها مرت ساعتين تقريبا وهم يعملون في جد ولكن شيئا لم يظهر ..

تبادل الجميع النظر وقد بدأ القلق يتسلل إلى ملامحهم خاصة مع بداية الظلام الذي بدأ

يخيم على المنطقة ..

- علينا أن نبحث عن مكان نقضي به ليلتنا ...

قالها مايكل الذي بدا مرهقا خاصة مع درجات الحرارة العالية ..

أومأ فؤاد موافقا وقال :

- توجد هنا العديد من الكهوف لنجد أحدهم ..

تحرك الجميع باتجاه الغرب إلى أسفل سلسلة من التلال الصغيرة على ضوء كشاف قابل للشحن كام في يد حسام قبل أن يقول :

- ها هو أظن أن ذلك يفي بالغرض ..

كام الكهف كبير نوعا له من الداخل شكل دائري أرضيته مصقولة وموزع به بعض الصخور المقطوعة بعناية كأنها استخدمت كمقاعد وفي صدر الكهف مباشرة قطعة صخرية اسطوانية الشكل أكبر بعض الشيء كأنها طاولة ...

وضع حسام عليها الكشاف ومضى الجميع يتفحصون المكان لقد باديا تماما أنا هذا المكان كان مستخدما في وقت ما !!!

سمع الجميع صوت سارة وهي تقول :

- إنظروا هنا ؟؟

جلب فؤاد المصباح في حين اقترب كلا من مايكل وحسام ليروا أمامهم مجموعة من النقوش الغريبة حقا فرغم تناسق الشكل فيها لكنها لم تكن تشبه أيا من تلك التي رأوها يوما فلم تكن فرعونية ولا يونانية ولا حتى قبطية بل هي صور وفقط كانت تحمل صور لكائنات غريبة بعضها يشبه الإنسان في الهيئة والأخر كأنها أشجار ذات أعين والآخر بشر بملابس بدائية ...

كانت الرسومات تدل على شيء لكنهم لم يفهموه ..

كعالم أثار تحسس فؤاد النقوش واتجه ناحية اليسار بأطراف أنامله وهو يقترب بالكشاف جيدا حتى قال :

- وجدتها ..

قال حسام وهو يبتلع لعابه :

- ماذا هناك ؟؟؟

قال فؤاد :

- أحتاج إلى حبر سائل ..

قال مايكل :

- إن هذا شيء مستحيل هنا ..

- إن لدي طلاء للأظافر ..

قالتها سارة فقال فؤاد :

- حسنا هذا يفي بالغرض ..

ناولته إياه فأخرج الفرشاة الصغيرة من زجاجة الطلاء وبدأ في تمريرها بشكل معين يسبقه تحسس النقاط بأطراف أنامله ..

استغرق الأمر نصف الساعة تقريبا قبل أن يظهر نص بلون طلاء الأظافر ذو أشكال مألوفة إنها اللغة الهيروغليفية بالطبع بوجود حسام وفؤاد لم يكن الأمر صعبا في فهم النص جيدا لقد كان رسالة تحذيرية من محاولة الإقتراب من مدينة أبناء الألهة وكانت الرسالة تحمل توقيع آخر شخص يمكن أن يتوقعه آحد ..

****

عبر بضع ممرات جبلية سار البني الصغير ببشرته الوردية وقدميه العاريتين وخلفه مباشرة سماح يسيران عبر تضاريس وعرة إلا أن البني الصغير كان يتحرق بسلاسة في حين كانت الأولى تعاني في المسير باتجاه مخيم البعثة ...

نظر البني خلفه ليجد سماح تلهث وقد بدا على وجهها الإرهاق بشدة فابتسم وقال :

- يبدو أن البشر أضعف كثيرا مما نتخيل !!!

ألقت سماح بنفسها على صخرة وقالت في إعياء :

- يجب أن أرتاح لا أستطيع المتابعة ..

هز رأسه وقال :

- إن المسافة قريبة جدا ..

- لا أستطيع أن أتحرك قيد أنملة أخرى ..

أشاح بكفيه مستسلما وجلس على الأرض ..

مضت دقائق حتى استطاعت سماح أن تستعيد بعض نشاطها فنظرت إلى ذلك الكائن الصغير أمامها وابتسمت فهي لا تصدق ما يحدث لها وأنها تجلس أمام أحد المخلوقات التي يظن الجميع انقراضها منذ ملايين السنين ...

كان البني يرسم أشكالا بسبابته الطويلة على الرمال وقد طأطأ برأسه الكبيرة .

قالت له :

- هل لك إسم ؟

أومأ برأسه موافقا وقال :

- أنا كرنو بن ..

- اسم عجيب !!!

- كل أسمائنا تنتهي ب بن ..

اعتدلت قليلا وقالت :

- كم عمرك يا كرنو فأنت تبدو صغيرا ؟؟

قال :

- أنا صغير فعلا فلم أتم عامي المائة والعشرون بعد ..

جحظت عيناها من المفاجأة وهي تنظر إليه وتقول

- 120 سنة ؟؟؟!!!

فتح عيناه الزجاجيتين وقال متعجبا :

- وماذا في ذلك ؟!!

- إنك بهذا تكون كهل كبير ..

ابتسم وقال :

- بل أنا شاب يافع فالبن أعمارهم تتجاوز الثلاثمائة والخمسون ..

قالت متعجبة :

- أنتم حقا مخلوقات عجيبة جدا !!!!

طأطأ ولم يجب لبرهة قبل أن يلتفت إليها قائلا :

- سأبحث عن بعض الطعام ..

- هنا ؟!!!!

هز رأسه وقفز على إحدى الصخور برشاقة أبهرتها فكأن الجاذبية لا تعنيه ، اختفى عدة دقائق قبل أن يعود وفي يده باقة من بعض الأعشاب البرية ناول سماح بعضا منها ، فنظرت إليه متعجبة وقالت :

- ما هذا ؟!!

- طعام ..

قالها وقضم عدة أعواد من العشب ولاكها بفمه المتسع قبل أن تقول :

- هل تأكلون الأعشاب والأشواك الجبلية ؟!!

هز رأسه موافقا وقال والطعام في فمه :

- ألا تأكلونها ؟

قالت :

- لا فنحن نأكل بعض النباتات ولكن نطهيها على النار كاللحم ...

عند ذكرها اللحم نظر إليها بارتياب وقال مرددا :

- اللحم !!!!

هزت رأسها موافقة وقالت متسائلة :

- ألا تأكله ؟!!

- إننا نباتيون فلا يمكننا أن نأذي أي كائن حي منذ خطيئة أجدادنا ..

تراجعت بظهرها إلى الخلف وقالت :

- أعتقد أن علينا استكمال طريقنا الأن ..

لم تكمل جملتها حتى انطلق كرنو بن يقودها عبر الصحراء والتلال وفي يده بعضا منوالعشب يقضم منه ...

نصف ساعة مرت حتى لاحت خيام المعسكر أمامهما فنظر إليها وقال :

- علي العودة الأن فلا يمكنني الإقتراب أكثر ..

نظرت إليه وقالت :

- إنهم لن يصدقوني إلا لو حدثتهم بنفسك ؟

- إن البشر خطرون وقد حذرني سيدي من الإختلاط بهم كما أنك وعدته بألا تخبري أحدا بوجودنا و...

أشارت له بالتوقف وهي تنظر إلى الخيام وتقول :

- إن سيارتي الدفع ليستا هناك كما أن المخيم يبدوا خاليا !!!!

نظر إليها مستفهما وقال :

- وماذا يعني ذلك ؟

نظرت إليه وقالت :-

- يعني إنهم قد تحركوا قبل وصولنا ..ابق هنا لحظات لأتأكد ثم أعطيك اشارة بالإنصراف أو أعود إليك ..

هز رأسه موافقا ..

سارت بخطوات متعثرة باتجاه المخيم حتى وصلت هناك وقد علمت أنهم بالفعل قد تحركوا ..

رأها كرنو بن تعود إليه ففهم أنهم قد تحركوا مبكرا ..

قالت له :

- ماذا سنفعل الأن ؟؟؟

قال :

- يجب أن نلحق بهم ..

- كيف ؟-

قال :

- سأقتفي أثرهم ونلحق بهم ..

أنهى عبارته قبل أن يرفع رأسه إلى السماء حرك أنفه قليلا كأنه يشتم شيئا فهمت سماح أنه يقوم بدور كلب بوليسي فقالت :

- هل يمكنك فعل هذا ؟؟

قال :

- إنني أستطيع تمييز الروائح من مسافات كبيرة جدا .. لننطلق من هنا ..

أشار باتجاه الشمال الغربي وتحرك مباشرة وهي خلفه دون أدنى اعتراض وهي تشتم بدورها رائحة الخطر ....

****

الفصل الرابع " بوابة الخطر "

- إن هذا الكهف يذكرني بالكهوف التي وجدت في صحراء ليبيا ..

قالت سارة ذلك فأومأ مايكل موافقا وهو يقول :

- أنها أيضا أشارت إلى حضارات قديمة تسبق العمر المعروف للإنسان على الأرض ..

قال حسام وهو يشير الى النقش الفرعوني :

- ولكن بالطبع لم تكن نقوش فرعونية هناك !!

هز الجميع رأسهم موافقينه الرأي في حين قال فؤاد :

- ياسادة نحن نقف أمام رسالة من أكثر الشخصيات الفرعونية غموضا إنها من الوزير المهندس أمحوتب ..

قال مايكل متعجبا :

- أمحوتب !!!

هز فؤاد رأسه وقال :

- أمحوتب العظيم كان يعرف السر الذي نحاول الوصول إليه الأن وهذا يفسر سر عظمته وقد نكتشف لغز اختفاءه أيضا ..

- اختفاءه ؟!!!

قالتها سارة متعجبة فقال حسام

- نعم إنه شخص رغم عظمته وعلمه إلا إنه إختفى إنه أمحوتب فهو باني هرم زوسر المدرج وهو أول مهندس معماري يعرفه التاريخ كما إنه طبيب وأول من أقام مدرسة للطب بمدينة ممفيس وله الكثير من المؤلفات والأختراعات الطبية المذهلة ،

واسمه يعني بالمصرية القديمة الذي جاء في سلام وقد ظن البعض إنه النبي يوسف لكن الغريب في الأمر أنه اختفى فجأة كأن لم يكن ورغم كل هذه العبقرية .. وعجز العلماء عن العثور على قبر له أو على مؤلفاته ...

- هذا أمر غريب حقا ولكن ماذا كتب هنا ؟؟؟؟؟

قالتها سارة متعجبة ، فنظر فؤاد إلى النقش الفرعوني وأشار إلى سطر عمودي وقال :

- إنها رواية يذكر فيها" أن الكيانات القديمة بقيادة ست إله الشر حاولت أن تقتل فرعون مصر وتحكمها إلا أن جيوش الملك استطاعت أن تهزمهم وتحاصرهم داخل جبل جهنم وأن الحكيم أمحوتب أقام بعلوم الحكمة سدا أمامهم لا يمكنهم إختراقه سوى لأشخاص معدودة منهم ليجلبوا ما يحتاجونه من الأرض" ..

حرك فؤاد أصبعه باتجاه نص عمودي آخر وقال مردفا :

- "إن بوابة السد تفتح بالرقم المقدس عند ظهور الشمس يظهر القفل ..

فإذا أدخل المفتاح ستفتح أبواب الخطر" ..

صمت الجميع وهم يحاولون فهم المغزى من هذه الرسالة الطويلة وهل يقصد بالكيانات القديمة مخلوقات أسطورية أم هم أنفسهم ما يبحثون عنه ؟؟؟

قطع حسام الصمت وقال :

- هذه الرسالة زادت الأمور تعقيدا فهي لا توضح أي شيء ..

قال مايكل الذي ترجم له فؤاد نص الرسالة :

- إنها تشبه تلك الأساطير السخيفة المصرية القديمة إننا نضيع وقتنا ..

فكر فؤاد قليلا قبل أن يقول :

- هناك سر في الأمر حتما .. ياسيد مايكل أنت سمعت تأكيد البدوي على وجود أقزام البن أحياء كما أخبرني الصحفي ...

قاطعه حسام قائلا :

- أنا رأيت أحدهم بالفعل ..

قال مايكل الذي بدا متشككا :

- ولكن إذا كان الأمر حقيقيا فلا يعني بالضرورة وجود الأخرين أحياء !!

قال حسام :

- هذا منطقي ..

نظر إليهما فؤاد وقال وقد برقت عيناه :

- أعتقد علينا أن نحاول فأمامنا مشاكل لا حصر لها إذا عدنا دون جديد فلا تنسوا أننا فقدنا أربعة أشخاص ويجب تبرير هذا الإختفاء ..

سارة متعجبة :

- وما شأننا نحن لنعرض أنفسنا وأموالنا للخطر في مطاردة وهم شخص مجنون أخطأنا عندما اتبعناه إلى هنا ..

نظر إليها فؤاد بغضب وقال :

- إسمعي أيتها السيدة جيدا أنا لست مجنون وأثق تماما في إنني على صواب ووجود رسالة من أمحوتب الغامض أكبر دليل وعلى كل حال ليس أمامكما سوى إتباعي ..

- هل تجبرنا ؟؟

أشار مايكل ببندقيته وهو يقول جملته إلا أن حسام تدخل وقال وهو يمسك فوهة البندقية ويزيحها بعيدا :

- مستر مايكل الأمر ليس إجبارا وأنت شخص مغامر وهذه مغامرة قد تصيب وقد تخطئ وكثيرا من الاكتشافات كانت مجرد محض تخريف فهل يمكن أن يتصور أحد العثور على حضارة قديمة في أعالي قمم الجبال ؟؟ هذه حضارة الإنكا خير شاهد على هذا ونحن الأن فريق واحد وهدفنا واحد ..

هدأ مايكل قليلا وأنزل بندقيته في حين اتجه فؤاد إلى خارج الكهف وهو ينظر إلى الجبال من حوله فاقترب منه حسام قائلا :

- الرجل عنده كل الحق فيما يقول فليس لدينا دليل واحد لا على المكان ولا وجودهم من أصله ..

نظر إليه فؤاد وقال :

- لماذا وافقتني إذن ؟!!!

- من أجلها فقط إنها سماح يجب أن أجدها ...

وشرد حسام بعيدا وهو يفكر ترى أين سماح الأن ؟؟؟

****

رغم الظلام الدامس إلا أن البني كان يبدو أنه يرى بشكل لا بأس به لأنه كان يسير بثقة وهو يتحاشى الصخور والعثرات في حين كانت سماح تعاني كثيرا من الظلام ..

نظر إليها كرنو بن بشفقة فلقد علم للمرة الأولى أن هؤلاء البشر ليسوا مخلوقات خارقة ولهذا كان يتعجب من رأي السيد أن البشر هم الوحيدون القادرون على مواجهة الحن !!!

لهثت سماح بشدة لكنها لم تستطيع الإعتراض فهي تعرف الأن أن الوقت خطير وأن عليها الإسراع ورغم تمرد جسدها إلا أن عزيمتها قوية كما أن شعور داخلي يراودها تجاه حسام الذي تريد في هذه اللحظة أن تلتقط أنفاسها لكن في أحضانه هو وهي تصيح فيه لقد كنت محق فإن في الأمر سر ...

توقف كرنو بن فجأة وهو ينظر حوله في إرتياب وقد توترت ملامحه فقالت سماح :

- ماذا هناك ؟؟؟

أشار لها بالصمت وهو يطلق لأنفه العنان فتجحظ عيناه فجأة ويقول بصوته الذي يشبه نقيق الدجاج وقد ارتجفت نبرته :

- إنهم قريبون جدا ..

تهللت أساريرها وقالت مبتسمة :

- هذا جيد هيا بنا بسرعة ..

نظر إليها وقال كأنه يكاد يدخل في نوبة من البكاء لا أقصد أصدقاءك ...

شعرت ببرودة تسري في عمودها الفقري وقالت متهدجة :

- من إذن ؟؟

ضم كرنو بن كفيه عند فمه وبدأ جسده ينتفض بشدة وأشار خلفها مباشرة ويصرخ :

-- هم ....

التفتت بسرعة لتقفز حدقتيها خارجا ويسقط فكها السفلي وتشعر فجأة أن تسقط في ظلام ... ظلام مطبق ..

****

بدأ الفجر في البزوخ والمجموعة الصغيرة يجلسون في صمت يفكرون فأملهم الوحيد في حل هذه أحاجي الرسالة ليصلوا إلى هدفهم ..

- الرقم المقدس أي رقم كان مقدس عند الفراعنة ؟؟

فكر فؤاد بصوت مرتفع في حين أجاب حسام :

- كثير من الأرقام لقبت بالمقدسة فرقم 7 يعد مقدسا 9 مقدس 13مقدس عند الشيطانيون والماسون فلكل حضارة رقم له قدسية خاصة ..

قال مايكل متعجبا :

- هل كان رقم واحد فقط ؟؟ إن أي كلمة سر الأن لحساب شخصي لا تقل عن 6 أرقام ..

قالت سارة :

- لقد وجدتها إذا كان الأمر كذلك فلنجرب رقم رقم من 1 الى 9 فحتما سيكون أحدها ..

قال فؤاد غير مقتنع :

- لا أظن أن أمحوتب سيترك الأمر بهذه البساطة ..

قال حسام :

- على كل حال يجب أن نتحرك الأن فالشمس تكاد تشرق وسيظهر القفل الأن ..

بدون أي تعليق تحرك الجميع متجهين إلى الجبل والخيوط الأولى من أشعة الشمس

تتجه مباشرة إلى سفح الجبل ..

جالت أعين الأربعة في كل شبر تبحث عن هذا القفل ..

مرت الدقائق ثقيلة ولا جديد وفجأة صرخت سارة :

- إنظروا هناك ..

أشارت بيدها إلى أعلى الجبل حيث كان هناك إنعكاس لضوء الشمس على ما يبدو إنه جسم معدني ..

- هذا حتما هو القفل ..

قالها حسام ، فقال فؤاد ولكن كيف يمكننا الوصول إليه !؟؟

تبادل مايكل وسارة النظرات قبل أن يقول الأول :

- نتسلق الجبل ..

نظر إليه حسام متعجبا وقال :

- 350 متر منحدرة إنه أمر خطير حقا !!!

- لنفعلها مهم.........

لم يكمل فؤاد جملته عندما صاح حسام قائلا :

- انظروا ...

نظر الجميع حيث أشار حسام ليجدوا أغرب شيء يمكنهم تخيله على الإطلاق ..

****

فتحت سماح عينيها بصعوبة وحاولت رفع رأسها إلا أنها شعرت بدوار شديد وأذنها تلتقط أصوات كأنها تأتي من عالم أخر فذهنها مشوش تماما ولا يمكنها فهم ما تسمعه

..

ولكن صوتا واحدا كان جليا رغم عمقه يقول :

- سماح .. سماح

إن الصوت يناديها نظرت باتجاه الصوت كانت الصورة ضبابية تضح رويدا رويدا .. وما إن وقع بصرها على الجالس على يمينها حتى استعاد عقلها نشاطه فجأة ليتجلى ذلك الوجه الذي بدا مألوفا تماما إنه عادل زميلها في البعثة صاحت وهي تحاول تحريك يدها ولكنها عجزت فإنها مكبلة اليدين إلى خلف ظهرها هذا يوضح ذلك الخذل في ذراعيها ..فقالت خائفة :

- عادل أين نحن ؟!!!

قال كمن يهمس :

- اخفضي صوتك حتى لا يسمعوننا ..

كان قلبها يخفق بشدة وهي تقول هامسة :

- بالله ماذا يحدث ؟!!

لم تنتظر إجابته فأردفت قائلة :

- هل الجميع هنا ؟!!

قال لها بمرارة :

- أنا فقط وها أنتي ...

جحظت عيتناها بشدة وقالت :

- وأين الباقين ؟؟

قال بعد صمت لبرهة :

- لا أعرف لقد اختطفوني ومعي إيمان وحسن وأحضرونا إلى هنا !!!

قالت متعجبة :

- ألم تقل إنك هنا وحدك ؟؟؟

قال :

- نعم لقد أخذوهما إلى مكان ما منذ وقت ولم يعودا ..

- وحسام ؟؟!!

قالتها وقد شعرت بسخونة بوجنتيها فقد لاحظت انفعالها الزائد إلا أن الظرف لم يدع مجالا لتعليق عادل الذي قال :

- هو وفؤاد والأجنبيين لم أراهم وأغلب الظن أنهم بخير ..

تفحصت سماح المكان الذي بدا عجيبا فالضوء باهر كأن المكان بنفسه يضيء كانت عبارة عن حجرة معدنية باردة ليس هناك أي أثر لمصابيح ومع ذلك الضوء يغمرها بلونها الفسفوري ..الحجرة خالية سوى من عدة مقاعد ثبتت هي وعادل على إثنان منهم وأثار القيود على أخرين يبدو أنهما موضع إيمان وحسن ..

- مكان غريب حقا ؟؟!!

قالتها سماح فنظر إليها عادل وقد طغت نبرة لم تعيها سماح فقال :

- والأغرب أصحاب المكان نفسه !!!

- من هم إنك لم تخبرني بعد ؟؟؟

تنامى إلى سمعهما صوت خطوات تقترب ، نظر إليها عادل بفزع وقال :

- اسمعي لا وقت الأن حاولي ألا تفكري في أي شيء فرغي عقلك الأن ..

انتقل خوفه إليها بسرعة فاختلط الخوف بالدهشة مما يقوله عادل ..

أصدر الباب صرير قوي رددت الحجرة صداه وعند المدخل ظهر أحدهم ، وما إن وقع بصر سماح عليه حتى قفزت مقلتيها بشدة ، فما رأته كان مفزعا بحق ...

****

الفصل الخامس ..." غابة الموت "

كادت سماح تفقد الوعي وهذا المخلوق القبيح يقترب منها بأسنانه الضخمة ونابين طويلين يتفحصها جيدا بعينين دمويتين ..

كان المخلوق يشبه إلى حد بعيد حيوان الشامبانزي إلا إن أطرافه أكثر تناسقا كما أن قامته الفارعة منتصبة تماما طوله يتخطى المترين عريض المنكبين غزير الشعر حتى ذراعية غطت أغلبها بالشعر وكذلك ما بدا من ساقيه كان مشعرا بشكل كبير أنفه مفلطح جبهته صغيرة مقارنة بوجهه ..

كانت رائحة أنفاسه كريهة أصابت سماح بالغثيان ...

إخترقت نظراته الحادة عينيها وقال :

- لماذا جئتم هنا ؟؟؟

الغريب أنه لم ينبث ببنت شفاه نعم إنه يرسل لها إشارات مخية معينة إنه يتواصل مع أفكارها ..

ارتعدت فرائصها بشدة وهي تفكر ماذا تفعل وكيف تفر من هذا الموقف العصيب ما إن جالت بخاطرها هذه الأفكار حتى أطلق المخلوق ضحكة بشعة تشبه حشرجة الموت فصوته خشن أجش وقال لها عبر موجات عقلها :

- لا تفكري حتى فأنت أسيرة الحن سادة الدنيا ..

استطاعة ترتيب أفكارها للحظات لتفكر في سؤاله قائلة بعقلها :

- لماذا جئتم بنا إلى هنا ؟؟

- أنتم من اقتربتم أكثر من اللازم ..

- اقتربنا من ماذا ؟؟

- مسكن الحن ..

- إننا لا نعرف بوجودكم أصلا !!!!!

تراجع الحني العملاق قليلا كمن صدمه ردها وفكر قليلا قبل أن يقول عبر موجات

عقلها :

- إذن أنتي أيضا لا تعرفين المفتاح ؟؟؟

- لا أفهم ماذا تقصد ؟؟

- ستعرفين كل شيء هذا دوركما ..

ابتعد عنها ليظهر إثنين أخرين بثياب تشبه الملابس الفرعونية وبيدهم قضبان طويلة تبدو كحراب ولكن شكلها يختلف عن ذلك الشكل المعروف فاقترب أحدهما وفك قيد عادل الذي تصبب عرقا وفك الثاني قيد سماح وجذباهما بعنف ليقفا وهما يوجهان حربيتهما إليهما ...

تقدم الحني الذي حدث سماح وخلفه دفع الجنديان الأخيرة وزميلة ليتبعا قائدهما فصرخت سماح :

- إلى أين تقودوننا ؟!!!!

لكن أحدا لم يجب كررت سؤالها لكن الإجابة كانت واحدة الصمت ..

ساروا عبر ممر طويل مضيء بشكل ذاتي أرضه مصقولة كأنها من زجاج شيء يتحرك من أسفل إنه سائل متوهج صاح عادل مذعورا :

- رباه نحن نسير على حمم بركانية !!!!!!

انتبهت سماح إلى ذلك اللهب أسفل الأرضية الزجاجية فجحظت عيناها وقالت :

- ولكن كيف فأنا لا أشعر بحرارة كما أن الزجاج لا يذوب ؟؟؟

التفت اليهما القائد وقال عبر فكريهما :

- إننا نتحكم في كل شيء نحن السادة فلقد هزمنا الحمم وهزمنا الطاقة وكل شيء لم يبقى لنا سوى شيء واحد فقط ....

تبادل عادل وسماح النظر وهما يرتجفان إنهما أسرى عند كائنات خارقة حقا ومصيرهما مجهول ...

****

شهق الجميع فجأة وهم يحجبون أعينهم من ذلك الضوء المبهر الذي فاجأهم فاستغرق الأمر عدة دقائق حتى اعتادت عيونهم على هذا الضوء ...

فتحوا أعينهم فقفزت مقلاتهم وهو يرون أمامهم هذا المشهد المهيب بالأسفل ..

إنه عالم متكامل متناسق في أغرب مكان في الدنيا ..

أمامهم كانت غابات خضراء ونهر عظيم يشق الغابات والأعجب والأغرب كانت المباني التي اتخذت طابع فرعوني عتيق كأن عجلات الزمن عادت عدة ألاف من السنين ...

نظر حسام إلى فؤاد قائلا :

- هل ترى ما أراه أم هو مجرد حلم ؟؟؟!!

قال فؤاد الذي لم يرفع عيناه عن المشهد :

- إننا في حلم حقيقي حتما ..

- هل يمكن أن نكون تحت سطح الأرض ؟؟؟

قالها مايكل وهو مشدوه بشدة ..

فقطع هذه الموجة من العجب صوت نقيق قائلا :

- أنتم تقفون مباشرة فوق امبراطورية الحن ويجب أن تتحركوا بسرعة الأن فهم خطر جدا ...

قال حسام :

- ألن تأتي معنا ؟؟؟ !!!

سأله حسام متعجبا ، فقال كرنو بن :

- لايمكنني ذلك كما أن علي العودة لتحذير قومي من هذه التطورات الخطيرة فما كان يجب علي مساعدتكم لولا أنني خشيت أن تكون سماح على علم بالمفتاح فتخبرهم به ....

- أي مفتاح ؟؟

سأله فؤاد فأجاب كرنوبن :

- مفتاح البوابة ليخرجوا جميعا ..

- آه الرقم المقدس ....

نظر كرنوبن آلى حسام بفزع وقال :

- هل تعرفه ؟!!

تنحنح حسام في حرج وقال :

- في الحقيقة لا ولكننا قرأنا رسالة أمحوتب ..

تنفس كرنو بن الصعداء وقال :

- إذن عليكم التحرك بحذر لإنقاذها ...

ابتسم له حسام ابتسامة ودودة ..

كاد كرنو بن أن يتحرك إلا أن مايكل نظر إليه قائلا :

- لماذا كل هذه الضجة على المفتاح إذا كانوا يستطيعون الخروج كما دخلنا نحن وكما يخرج بعضهم ؟؟؟

قال كرنو بن وهو يشير براحتيه متعجلا :

- إن هناك قوة خفية تمنعهم من ذلك فالمدخل ذو اتجاه واحد يسمح بالدخول ولا يسمح بالخروج إلا لقبيلة واحدة هي فقط تستطيع الخروج وذلك لاتفاق مبرم مع أمحوتب ولحسن الحظ أن هذه السلالة قليلة العدد جدا ولكن لتحترسوا عند المرور من الغابة ...

أتم جملته قبل أن يقفز برشاقة عبر فجوة صغيرة الحجم تناسب حجمه إلا أنها اضطرت الثلاثة للزحف عند الدخول كان قد عرفها كرنو بن من أولئك الذي اختطفوا سماح فتبعهم بعدما إختبأ ..

بالداخل كان الفريق الصغير يتحرك عبر منحدر تم تهيئته كدرج صغير يستخدم في الهبوط وقد اتخذ شكل حلزوني ..

استغرق الأمر دقائق كثيرة فالنزول رغم سهولته إلا أن المسافة كبيرة قد تخطت المائتي متر فالمكان أعمق كثيرا من الداخل ..

ما إن لمست أقدامهم الأرض المستوية حتى تعالت دقات قلوبهم بشدة من ذلك المجهول الذي يهمون على الخوض فيه ..

- من أين يمكننا أن نبدأ ؟؟

تساءل فؤاد الذي وجد نفسه ومعه زملاءه يقفون على أرضية ملساء وأمامهم غابة من الأشجار العجيبة الشكل ..

أشار حسام إلى ممر بين الغابة وقال :

- أظن أن هذا طريق ...

أخرجت سارة من حقيبتها كاميرا صغيرة فقال حسام :

- احترسي من الفلاش حتى لا يلفت النظر لنا ..

أومأت برأسها قبل أن يتحرك الجميع وسارة تلتقط عدة لقطات لهذه الغابة ..

- ألم يلحظ أحدكم شيء ما ؟!!

تسائل مايكل فنظر إليه الجميع مستفهمين فأردف قائلا :

- رغم الحرارة بالخارج الجو هنا جيد جدا رغم أن باطن الأرض معروفة بارتفاع درجة حرارتها !!!

قالت سارة مؤكدة على كلامه :

- هذا صحيح ..

- بل إن الأشجار ثابتة فلا تيارات هوائية هنا ..

أضاف حسام ملاحظته في حين ظل فؤاد صامتا وهو يشاهد هذا المشهد النادر

لأشجار ضخمة لم يرى لها مثيل مطلقا أغصانها وارفة متشابكة من أعلى فكونت شكل بديع بعض هذه الأشجار أزهر بزهور ذات ألوان جميلة نادرة فبعضها أزرق والأخر مائل إلى السواد فليس من المعروف زهور ذات ألوان سوداء أو زرقاء كما طرحت بعضها ثمار شكلها أكثر غرابة لقد كانت مربعة الشكل وبعضها مستطيلة !!!

كانوا يشعرون أنهم يسيرون في غابة من ألف ليلة وليلة وكان أكثر من تأثر بذلك المشهد هي سارة التي بدت مشدوهة وهي تلتقط عشرات اللقطات حتى أنها تأخرت عن المجموعة بعض الشيء ...

فجأة سمع الجميع دوي صراخ سارة فألتفتوا إلى الخلف فلم يجدوها ..

كان أول من هرع بحثا عنها حسام الذي صعقه ما رآه فتسمر في مكانه فجأة حتى أن مايكل وفؤاد اصطدما به لوقوفه المفاجئ قبل أن تجحظ عيونهم بشدة ..

لقد كانت سارة ملتصقة بجزع أحدى الأشجار بقوة وقد التفت بعض الفروع حولها كأنها حبل غليظ لكن الأغرب كانت أطراف تلك الفروع لقد كانت تشبه كفوف الأيدي خاصة وهي تقترب من وجه سارة لتمسك به والأخيرة تصرخ هلعا طالبة النجدة ..

هذا المشهد الذي أذهل الرجال جعلهم لم يلحظوا تلك الأغصان التي أخذت تهاجمهم من كل جانب فبعضها كان يسعى كحية رقطاء والبعض الآخر استطاع أن ينقض على ذراع حسام الذي تحرك بغتة ليتفادى ذلك الهجوم ثم انحنى مرة أخرى لتلافي خصن آخر في حين سقط مايكل على الأرض بعد أن أمسكت بقدميه وجذبته على الأرض بقوة فصرخ :

- حسام الحقيبة الحقيبة ..

قفز حسام ليلفي بنفسه أرضا ويلتقط الحقيبة التي سقطت من مايكل ويفتحها ليسمع صرخة فؤاد الذي التف أحد الفروع حول عنقه مهاجما إياه من أعلى لكنه تمسك بقوة بيمناه بفروع شجرة صغيرة مقاوما محاولة جذبه إلى أعلى وهو يشعر باختناق رهيب ويسراه تمسك بالفرع الملاتف حول عنقه محاول تخفيف الضغط على حنجرته ..

أفرغ حسام بسرعة محتويات الحقيبة حتى وقع بصره على خنجر ضخم يشبه ذلك المستخدم في الجيش الأمريكي مد يده ليلتقطه لكن قبضة قوية أطبقت على معصمه الأيمن وبسرعة البرق دفع بكل جسده إلى الأمام وبأطراف أنامله التقط الخنجر

وتدحرج في اتجاه ذراع الشجرة وبنصل الخنجر الجال هوى عليه فخف ضغطه على معصم مع ارتجافة في هذا الغصن المقطوع وانطلقت نافورة من الدماء !!!

نعم لقد نزفت الشجرة التي سحبت فرعها كمن يصاب ذراعه فيسحبه بسرعة .

لم يتوقف حسام كثيرا وهو يهرع مسرعا باتجاه مايكل ويقطع بالخنجر الماضي كل قيوده وما إن تحرر مايكل حتى صرخ قائلا :

- فؤاد !!!!

التفت حسام ليجد فؤاد يرفع إلى أعلى من عنقه وعيناه تجحظان بشدة وقد شحب وجهه ..

كان مرتفعا بحيث لا يمكن الوصول إليه ..احتار حسام إلا أن رصاصة انطلقت من بندقية مايكل تبعها بأخرى أصابتا الفرع تماما فسقط فؤاد كصخرة وهو يحرر عنقه من جزء الفرع ويلتقط أنفاسه بصعوبة ..دوت صرخة سارة منبهة إياهم فنظرا إليها وقد كان المشهد مفزع حقا ....

****

كانت سماح وعادل يخرجان من مبنى ليجدا نفسيهما فيما يشبه الشارع فهناك المئات من الحن ذهابا وإيابا بتلك الملابس الفرعونية ذات اللون الواحد فكلها بيضاء وبها بهض التداخلات السوداء فقط أبيض وأسود ..لكن الأمر الأكثر غرابة هي تلك الحيوانات التي استخدمها البعض في التنقل فهي تشبه الخرتيت لكنها ضخمة جدا قد تكون بحجم الفيل الحالي وعلى أنفها قرنين خلف بعضهما أحدهما نصف طول الثاني ولتلك الحيوانات زمجرة وحشية أثناء مرورها ...

دفعهما الجنديان باتجاه عربة حديدية مغلقة يبدو أنها تستخدم لنقل المساجين ويجرها زوج من الحيوان الضخم ..

أغلق الجنديان باب العربة في حين وقف الإثنان على عتبة بالخلف أما القائد فقد قفز في منصة بجوار السائق لتنطلق العربة بسرعة جنونية لا يشير إليها ذلك الوزن الزائد للحيوانين ..

لم تكن بالعربة أية نوافذ تسمح برؤية الطريق فاستغرقت العربة نحو 15دقيقة قبل

أن تتوقف ويشير إليهما الحارسان بالنزول مرة ..

كانا يقفان في حديقة أمام مبنى بدا كأنه قصر شخصية مهمة ..

تحرق الحني إلى الداخل وخلفه سار كلا من سماح وعادل مستسلمين للجنديين ذوي الحراب العجيبة ..

صرخت سماح فجأة عندما شعرت بشيء ما يتحسس شعرها فرفعت رأسها لتجده رجل بلا رأس يتدلى من أحد فروع الأشجار فشهقت خوفا إلا أن القائد أشار لأحد الحارسين فضرب الجثة بنصل حربته فسقطت وسط ذهول من عادل وسماح لقد كانت مجرد ثمرة للشجرة فالتقطها الحارس وقضم قضمة من كتف الرجل بتلذذ ..

شعرت سماح بالغثيان إلا أن القائد قال لها عبر فكرها :

- إنها إحدى أشهى الثمار عندنا وهناك أيضا الأنثى منها ..

أشار بيده في الإتجاه الآخر ليروا كأنما نساء معلقة من شعورهن بلا ملامح ونهودهن وارفة لقد كانت أنثى كاملة تستر عورتها لفافة من أوراق الشجر العملاقة ..

انطلقت في المكان رائحة ذمية علما أن مصدرها تلك الثمرة الفواحة ..

صعد الجميع درج مصنوع من البلور الخالص فبدأ كأنه لؤلؤلة مضيئة تعكس ذلك الضوء بلا مصدر الذي يبدو أنه ثابت فمع مرور الوقت لم يقل أو يزيد حيث لا غروب ولا شروق ..

أمام بوابة ضخمة وقف الجميع لتفتح البوابة أمام ممر طويل من المرمر النقي ساروا فيه دون أن يلتفت أحد لرؤية من فتح الباب ..

إنحرف الممر ليجدوا أنفسهم في ساحة واسعة حيث عشرات الحن يجلسون فيي شبه نصف دائرة وفي المنتصف جلس حني عملاق كان يبدو إنه الملك حيث كان على رأسه تاج مصنوع من نوع جميل من الزجاج في مقدمته أفعى تشبه تلك على تيجان الفراعنة ..

بمجرد الدخول ركع القائد والحارسين للرجالس في صدر القاعة قبل أن يرفعوا رؤوسهم فأصدر الملك صوت أجش خليط مابين الحشرجة والزئير وكان واضحا إنه يتحدث ولكن بلغة لم يفهماها في البداية إلا إنها كانت تشبه كثيرا ما سمعاه أثناء

دراستهما للهيروغليفية إلا أنهما لم يستطيعا فهم ما يقولان ..

دار حوار بين الحنيان للحظات قبل أن يتنحى قائد الحرس جانبا ليفسح الطريق لعادل وسماح اللذين سمعا بداخل رأسيهما أمرا بالإقتراب كان الأمر كأنه هدير الرعد سمعا كلاهما الأمر في آن احد مما جعلهما يتبادلان النظر قبل أن يتقدمان عدة خطوات أمام الملك الذي بدا كبير سنا بسبب شعر أسفل أنفه بدا كشارب متصل بلحية بيضاء بعكس باقي الشعر الرمادي الداكن ...

- من أنتما ولماذا جئتما إلينا ؟؟؟

قال عادل :

- ياسيدي أنتم من جئنم بنا إلى هنا !!!

- لقد جئنا بكم لأن لديكم ما نبحث عنه ..

قالت سماح التي كانت تشعر بعريزتها الأنثوية بخطر :

- ياسيدي نحن لا نعرف بوجودكم ولا ما أنتم حتى فكيف يكون لدينا ما تريد ..

- رجالي من أفكار أحد زملائكم علموا أنكم جئتم من أجلنا ...

نظر كل من عادل وسماح إلى بعضهما وكان عادل الأكثر عجبا لكن سماح بزيارتهت لمدينة أقزام البن وحديثها مع حسام كانت تعرف الكثير مما يجهله عادل .

نظر إليها الملك وقال لها عبر أثيرها الخاص :

- إنكي تبدين ذكية هلا أرحتي نفسك من عناء ما آل إليه زميلكيما ..

شعرت بقشعريرة في جسدها وصورة كلا من ايمان وحسن ترتسم أمام عينيها قبل أن تومىء برأسها موافقة فطريقته في بث الفكرة إليها كانت تعلم جيدا أنه لا مجال للرحمة عند الحن ...

- حسنا ما هو المفتاح ؟؟

- صدقني لا أعرف أي مفتاح تقصد أنا لا أعرف شيء على الإطلاق ..

نظر الملك مباشرة إلى عينيها فتسمرت سماح في مكانها وإرتجفت بشدة وقد تصببت وجنتيها عرقا بغزارة فلقد نقل إليها الملك فكرة مروعة أعتصرت قلبها بمرارة ..

****

كانت زهرة ضخمة لونها أحمر قاني تقترب من وجه سارة كأنها ثعبان الأناكوندا وبداخلها ظهر صفين من الأنياب الحادة تستعد لإلتهامها بكل قسوة ..

كانت الزهرة المفترسة قريبة جدا من سارة التي أخذت تتلوى محاولة النجاة بنفسها دون جدوى وفجأة ترنحت الزهرة قبل أن تسقط أرضا بعيدة عن ساقها وفكيها يتحركان ككلاليب عدة حركات فأتبعها مايكل برصاصة من بندقيته جعلتها تتحول إلى نثائر صغيرة ...

نظر الجميع ليجدوا حسن وفي يده صخرة مدببة أحدى حافتيها حادة كأنها سكين بدائي ..

صاح حسام :

- حسن ....

قال حسن بأنفاس متلاحقة :

- فك وثاقها سهاجموننا حالا يجب الفرار ...

لم يكمل حديثه حتى على صوتا يشبه فحيح الأفاعي المئات من الأفاعي فرفعوا رؤوسهم ليروا العشرات من الأزهار المتوحشة وأغصانها تتلوى بحركة عصبية شرسة ..

قفز حسام بخنجره يقطع أوصال قيد سارة التي تهاوت على الأرض فأسرع مايكل يساعده على حملها ....

كان فؤاد بستعيد قوته ببطء فجذبه حسن من يده ليهرعوا مسرعين وصوت الفحيح بتحول إلى ما يشبه الصيحات ...

لم يعرفوا قدر المسافة التي قطعوها ليجدوا أنفسهم أمام بحيرة جعلتهم يتوقفون فجأة وعيونهم تقفز من محاجرها إنها بحيرة ملتهبة عبارة عن حمم بركانية ملتهبة تدفق

بسرعة إلا أن حسن تقدم وخطى باتجاه الحمم وسار كأنه يسنطيع السير في الهواء .. لم يستطيع أحدهم أن ينبث ببنت شفاه إلا أن حسن قال لهم :

- هيا ماذا تنتظرون إن الخطر لم يظهر بعد ..

نظروا إليه وإلى الحمم فقفز كالمعتوه وهو يقول :

- إنها أرضية زجاجية لا تخشون شيء ...

مد حسام قدمه متحسسا المكان ليجدها أرضية صلبة فاطمأن وأكمل خطوته وبحذر تبعه الجميع ليسيروا على الأرضية الشفافة العازلة ليقطعوا مسافة مائة متر أو يزيد قليلا دون أن ينبث أحدهم بحرف ..

وعلى الشاطيء الأخر هدأ الجميع بعدما اطمأنوا إلى أن الحمم لم تعد تحتهم ..

توقف الفريق لالتقاط أنفاسهم في حين نظر حسام إلى حسن وقال متسائلا :

- ماذا حدث واين زوجتك ؟!!

أخفض حسن عينيه في حزن وقال بمرارة تعتصر قلبه :

- إنها قصة طويلة سأرويها لكم ولكن لنبحث عن مكان آمن أولا ؟

قال فؤاد الذي بدا واجما بشدة ساخرا:

- وهل يوجد هنا مكان آمن ؟!!

قال حسن :

- في الحقيقة لا فكل شيء هنا متوحش لكن لنتمنى ذلك ..تعالوا معي أعتقد أن هناك مكان بالقرب من هنا ...

تحرك حسن وقد لاحظ الجميع الحالة المزرية التي هو عليها فملابسه ممزقة وشعره أشعث والإرهاق واضح عليه ..

سار الجميع في مساحة مكشوفة حتى وصلوا إلى منطقة صخرية بهاا منحدر صعدوه خلف حسن وعند نهاية المنحدر دلف إلى كهف وهم خلفه وما إن دخل الجميع حتى ثبتوا مكانهم كأنهم من الصخر فما كان أمامهم شيء لا يصدق مطلقا ...

****

كان المشهد الذي نقله زعيم الحن لعقل سماح مريعا بحق ..

مجموعة من جنود الحن يقودون إيمان وحسن بعنف إلى حضرة الملك الذي طلب اقترابهما .

- ما هو الرقم المقدس ؟؟

نظرت إيمان إلى زوجها بتعجب قبل أن تقول :

- لا نعلم عما تتحدث !!!

كان عقل حسن في هذه اللحظة يعمل سريعا كماكينات قديمة تحاول نفض أتربة الزمن " أين سمع هذا الرقم سابقا ؟؟"

استطاع الملك أن يقرأ تلك الأفكار المتسارعة في عقل حسن فالتفت إليه وبث أفكاره قائلا :

- حسنا أنت تقترب هيا ..

حاول حسن لكن دون جدوى فالخوف والتوتر حالا دون ذلك ..

بدأ الملك في الغضب فتحول صوت أفكاره إلى هدير الرعد في عقليهما ..

كانت إيمان تنتفض بشدة وهي تسمع مع زوجها أفكار الملك الذي قال :

- عندي ما قد ينشط ذاكرتك قليلا ..

أشار لجنديين من جنوده فأمسكا بذراعي حسن وآخرين أمسكا بإيمان التي صرخت ألما من الضغط على ذراعيها وحسن يصرخ فيهما وهو يحاول التملص من ممسكيه :

- اتركها أيها الوغد إتركها وإلا قتلتك ..

ضحك الملك ساخرا وحسن يحاول الفكاك من القبضتين الفولاذيتين حول معصميه قبل أن يجذباهما بعنف عبر عدة ممرات وجدا نفسهما بعدها في ساحة واسعة لها نفس الأرضية الشفافة والحمم تدفق بعنف تحتها ، جحظت عيناهما رعبا وهما

ينظران إلى اللافا أسفل قدميهما كأنها نهر مستعر وعلى مسافة مائة متر تقريبا توقف الحراس الأربعة وترك أحدهم ذراع حسن اليمنى وتقدم بضع خطوات ونزل على ركبتيه يتحسس الأرضية الشفافة ويعالجها بأنامله فيظهر غطاء بلوري مستدير جذبه بقوة فخلف فجوة بدت الحمم الملتهبة تتقافز من خلالها .

شعر حسن وإيمان بحرارة شديدة من تلك الفجوة التي لا يتخطى قطرها المترين .. أشار الجندي إلى الآخرين اللذين أمسكا بإيمان فدفعاها بشدة وهي تقاومهما وتصرخ حتى إنها رفعت قدميها عن الأرض فحملها الحنيين وسارا بها كأنها معدومة الوزن ..

صارع حسن ذراع الجندي الأخير فعقد قبضته اليمنى والتف حول نفسه وكال لكمة وضع فيها كل قوته وهوى على فك الحني الذي ترنح قليلا ورغم أن حسن شعر بقبضته كأنها تحطمت إلا أنه استعد لكيل لكمة أخرى عندما شعر بقبضة الحني العملاق تحرر معصمه وبالفعل لكمة أخرى حررته تماما فهرع مسرعا إلى الحنيين اللذين أمسكا بزوجته فقفز متعلقا بعنق أحدهما لافا ساعده الأيسر حول عنقه ويده اليمنى تهوى على رأسه ..في هذه اللحظة استطاعت إيمان أن تستدير وتفلت من ضحية زوجها وكان الحني الآخر فيما يبدو قد قرر التدخل والدفاع عن زميله فترك أسيرته وما إن اقترب من حسن حتى أطلق الأخير قدمه في وجه الحني الذي ترنح وأصدر زمجرة وحشية ..

قفز حسن وأمسك معصم زوجته وصرخ فيها :

- أسرعي ..

دون تردد استدارت إيمان ولكنهما وجد الحني الرابع أمامهما وهو يهز حربته الغريبة ، ترك حسن معصم زوجته وهجم على الحني الذي وجه نصل حربته إلى قلب حسن إلا أن الأخير بمرونة يحسد عليها مال إلى اليسار قبل أن يوجه ركلة في بطن الحني جعلته يتراجع خطوتين كانتا كفيلتين بأن يفقد توازنه ويسقط في الفجوة ويذوب جسده خلال لحظات في الحمم البركانية ..

التفت حسن إلى زوجته ليجدها تقاوم أحد جنود الحن الذي حملها إلى أعلى والإثنين

الآخرين يصوبان حربيتهما إلى حسن الذي تراجع قليلا ليتفادى طعنة من أحدهما في

احين حاول مهاجمة الذي يحمل زوجته لكن الحني تفاداه وألقى بإيمان كأنها حجر فصرخت بشدة التفت إليها حسن فتجمدت الدماء في عروقه ...

****

الفصل السادس " النهر المستعر "

ترقرقت عينا حسن بالدموع وهو يقول :

- لقد سقطت في نهر الحمم و.....ماتت ..

طأطأ الجميع رؤوسهم أسفا وخاصة فؤاد الذي شعر بوخزة غريبة في قلبه فهو من قادهم جميعا إلى هذا الجحيم ..

مسح حسن عينيه وقال وهو ينتحب :

- وقتها استطعت الفرار فأسلمت أقدامي إلى الريح فلا أدري كم من المسافة قطعت بل ظللت أجري وأجري حتى وجدت نفسي في تلك الغابة المفترسة وهناك صارعت وصارعت رغم إنني كنت أبحث حقيقة عن الموت إلا إنها الغريزة الفطرية لكن غريزتي لم تنقذني من براثن تلك الأشجار المتوحشة فأطبقت إحداها علي وكادت أن تفتك بي وفجأة انتهى كل شيء ووجدت نفسي هنا ....في هذا الكهف .

أشار بيده إلى الكهف الذي يجلسون بداخله قبل أن يشير إلى حني يجلس في هدوء عند ركن بعيد وقال :

- لقد أنقذني شرخان الحني على آخر لحظة ...

نظر الجميع إلى الحني الضخم بإرتياب فهي المرة الأولى التي يرون فيها حني كما أن كل ما سمعوه عن الحن يجعلهم خطرين جدا ، لكن حسن قال :

- لا تقلقوا فهو آمن إنه معارض لكل أنظمة الحن الشريرة وهو سيساعدنا ..

ثم نظر إلى شرخان وأردف قائلا :

- أليس كذلك يا شرخان ؟!!

هز الأخير رأسه موافقا ونظر بعمق إلى حسن للحظات قبل يلتفت الأخير ويقول للمجموعة :

- إن شرخان يريد أن يحدثكم ؟؟

تبادل الجميع نظرات التعجب فأخذ حسام زمام المبادرة وقال :

- وكيف عرفت إنه لم ينبث ببنت شفاه منذ وصولنا !!!

- إن لغتهم لن نفهمها ..

قال فؤاد :

- وكيف تفاهمتما إذن ؟!!

- إن الحن لديهم القدرة على بث الأفكار إلى عقول البشر وقراءة الأفكار أيضا .

- هذا مستحيل !!!!

قالها مايكل بانفعال إلا أن عيناه جحظتا فجأة وهو يستمع بعقله لشرخان وهو يقول :

- ولماذا هو مستحيل ؟!!!

صرخ مايكل بعصبية :

- هذا جنون ...

قال حسام مهدءا إياه :

- وماذا قابلناه حتى الأن ليس جنونا !!!

قال فؤاد :

- هذا صحيح كل ما حولنا درب من الجنون ..

تدخل شرخان بأفكاره قائلا للجميع :

- إن الحن كانوا قوما مسالمين حتى جاء قعقعان وكان رجل من الحن في عهد ملك

الفراعنة زوسر وقرر أن الحن يجب أن يحكموا فجمع معه عدد كبير من الحن الذين أمنوا بفكرته وكون جيشا إلا أن الفراعنة استطاعوا أن يهزموننا ووضعونا هنا بمساعدة الحكيم أمحوتب وقتل قعقعان واستسلم الحن للأمر الواقع ورضينا بما قسم لنا واجتمع لدينا الكثيرين ممن كانوا يعملون مع الكهنة وما تعلموه من فنون فأقاموا ما تراه ولكن العلم قد يؤدي بالبعض إلى الجنون فعملوا في التهجين وما رأيتموه في الغابة نتاج عقول الشر من الحن وليس هذا كل شيء بل جاء منذ ثلاثة قرون ملك جديد اسمه برخان وهو ملك الحن حتى اليوم وكان حلمه كجده قعقعان الخروج وحكم العالم مرة أخرى لكن المشكلة تكمن في الخروج من هنا ...وامتلاك المفتاح ..

طوال ثلاثة قرون هي مدة حكم برخان لم تنجح العلوم في اختراق ذلك الحاجز الغير مرئي ليخرج الحن وقد أشار الحكماء أنه بما إنه من صناعة البشر فيجب أن يكون السر لدى البشر ولهذا يخرج جواسيس الملك للتجسس وكل جواسيسه من قبيلة واحدة تكاد تنقرض هي الوحيدة التي يسمح لأفرادها العبور من سد أمحوتب ..

قال حسام :

- وما المطلوب منا إذن ؟؟؟

قال شرخان :

- لا تعطوه المفتاح إن كان لديكم ....

قال فؤاد متعجبا :

- ألست من الحن ؟!! فلماذا تعمل ضدهم إذن ؟؟!!

تنهد شرخان بعمق قبل أن يقول :

- لقد حكم الحن العالم ألاف السنين فلم يورثوها سوى الشر والقتل والدماء فسلط الله عليهم مخلوقات طيفية عاقبتهم وأفنت حضارتهم تماما حتى هجرنا إلى الجزر والجبال وورث الإنسان الأرض وبعد مدة ومع أخطاء البشر إلا أن الإنسان أثبت أنه الأصلح ولو أن بعض البشر لا يفرقون كثيرا عن الحن بل هم أسوأ ولكن خلاصة القول أن الحن قدرهم ما هم فيه إلى أن تحين ساعة إلهية يخرجون فيها أما غير ذلك فسوف يجلبون على العالم الدمار لهذا أقف ضد مخططات الشر ..

- مازلت غير مقتنع ؟؟

قالها فؤاد في تحد فقال شرخان :

- ألا يكفيك ما فعلته بهؤلاء يجب أن تتوقف وتأخذهم وتعود من حيث أتيتم إنك تعرض العالم للخطر ولأخبرك أمرا إنني كنت من أقرب الناس للملك برخان وأعلم من مستشاره الذي يقوده إلى ما يريد وهو لن يتوانى لإبادتكم جميعا إن حكم ولما اعترضت عليه حاول قتلي ولكنني هربت منهم ..

قال حسام :

- ألا يوجد غيرك من الحن يرفض هذا ؟!!

- كثيرين لكنهم يخشون بطش الحاكم المتجبر ..

ساد الصمت لدقائق قبل أن تقطعه سارة التي بدت مرتعدة الفرائس :

- إذن لنخرج حالا ..

قال حسام بعصبية :

- لكن يجب أن نخرج سماح وعادل إن كانا لا يزالان على قيد الحياة ..

قال عبارته الأخيرة وهو يجز على أسنانه بمرارة ، في حين قال مايكل :

- إننا نعرض أنفسنا للخطر هكذا ..

- هذا قراري ولن أتراجع عنه فمن شاء فليعود وحده ..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض قبل أن يقول حسن :

- سأتي معك ..

قال مايكل :

- أما أنا فلا فيبدو أنه لا ذهب ولا جواهر فقط الموت ..

نظر حسام إلى فؤاد الذي صمت كثيرا قبل أن يقول :

- سأكمل ما بدأته ... أنا معكما ..

قال مايكل حسنا سنعود أنا وسارة من حيث أتينا ..

حملا حقائبهما في حين احتفظ حسام ببندقية والخنجر ..

تحرك كلا من سارة ومايكل عائدين وما إن اختفيا حتى نظر حسام إلى شرخان وقال :

- هل يمكنك أن تدلنا على مكانهما ؟؟

قال شرخان بعد تفكير :

- بل سأذهب معكم فهناك حساب بيني وبين برخان يجب أن أنهيه الأن ..

ساد صمت مطبق والجميع يفكرون فيما قد يواجهونه هناك ...

****

ارتعدت فرائص سماح وهي ترى عبر بث الملك برخان ما حدث لزميلتها إيمان وسقوطها في الحمم ..

كان برخان يعلم أن مشهده قد بث الرعب حقا في كل من عادل الذي أخذ يتصبب عرقا وقد امتقع وجهه بشدة ..

قال برخان :

- أنتما الأن تعرفان نتاج عدم التعاون معنا ..وعليكما الإختيار حالا ..

- النت ...

صرخ عادل قائلا وقد ورد بذهنه هذا الطاريء لماذا لا يبحث على الإنترنت عن الرقم المقدس ، فنظر إليه برخان قائلا :

- ماذا تعني ؟!!

قال عادل :

- سنبحث عبر الشبكة العنكبوتية ربما نصل لحل ..

قالت سماح وقد التقطت أنفاسها :

- وأنا معي هاتفي النقال ..

مدت يدها في جيبها فصوب الحراس حرابهم إليها إلا أن برخان الذي كان يقرأ أفكارها أشار للحراس بالتوقف ..

تناولت سماح هاتفها ولكن وجهها قد شحب بشدة فلم تكن هناك أية إشارة ..قرأ برخان أفكارها فزمجر غاضبا وقال :

- والحل ؟!!!

قال عادل الذي فهم فمن المستحيل أن تكون هناك تغطية على عمق أكثر من 450 متر تحت الجبل :

- إذا خرجنا إلى الصحراء يمكننا أن نفعلها ..

صمت برخان ومضى بفكر ويفكر وسماح وعادل قلقان بشدة ومضت عليهما الدقيقتين كقرنين كاملين ..

نظر برخان إلى جنوده وقال :

- لنذهب معهما وعند فوهة الجبل سيستخدمان جهازهما الصغير هذا ..

تهللت أصاريرهما والجميع يستعدون ....

مرت حوالي الساعة حتى كان الملك برخان يركب دابته الضخمة ويتقدم جيشا صغيرا مكون من عشرون فارس على داوبهم وأربعون من المشاة ، وفي المنتصف العربة التي تجرها الدواب بداخلها عادل وسماح ..

سار الموكب الكبير في هدوء ..

كان على الجانب الآخر حسام وفؤاد وحسن وبصحبتهم شرخان يسيرون عبر ممرات بين إحدى الغابات بحسب إشارات شرخان تجنبا للأشجار المتوحشة ..

وفجأة توقف الأخير وأشار لهم بالهدوء ، فقال له حسام :

- ماذا هناك ؟؟؟

- إنهم يقتربون ..

قال فؤاد :

- من هم ؟؟

- لا أعرف لكنني أسمه صوت الديناموس ..

قال حسام متعجبا :

- ما هو الديناموس ؟؟؟

قال حسن هامسا :

- إنه حيوان منقرض استطاع الحن استنساخه من بعض الخلايا القديمة وهو يستخدم كالخيل عندنا ...

أرهف الجميع السمع ليسمعوا صوت زئير عشرات الأسود مجتمعة وهو صوت الديناموس مع بعض الزمجرات تقترب وتقترب ..

قال شرخان علينا أن نختبيء الأن ..

فكروا في أي مكان يمكنهم الإختباء قبل أن يشير حسام إلى مجموعة من الأشجار العالية ويقول :

- بالأعلى ...

اتجه كل واحد منهم إلى شجرة وتسلقها وقد كان الأمر سهلا فعلى جزع هذا النوع أطراف بارزة تشبه درج السلم ..

كان شرخان يقابل تماما حسام الذي تقوقع على أحد الأغصان ..

ظهر الجيش الصغير وأخذ يقترب ويقترب وفي المنتصف شاهد حسام العربة كان منظر الديناموس مهيبا جعل الجميع يشهقون بشدة إلا أن عقل حسام كان معلق بالعربة فشيء ما بداخله يجعله يشعر بقرب سماح منه ، جاءه الجواب على شكل رسالة أثيرية من عقل شرخان يقول :

- هما بالفعل بداخلها ..

ركز حسام تفكيره محاولا بث رسالة إلى شرخان قال فيها :

- هل يمكنك التواصل معها وطمأنتها ؟!!

- للأسف لا فيجب أن تكون أمامي كما يجب الأن ألا نتبادل الحديث حتى لا يلتقطنا برخان ..

تعلقت الأعين بالموكب الذي مر من تحتهم مباشرة فكتموا أنفاسهم حتى اختفى الجيش الصغير بين الأحراش ..

نزل الجميع وقد تنفسوا الصعداء فنظر حسام إلى شرخان وقال :

- إلى أين يصحبوهم ؟؟؟

- حقيقة لا أعلم ..

قال حسن :

- لنتبعهم حتى نرى ..

قال فؤاد موافقا :

- نعم الرأي ..

بحذر انطلق الفريق خلف جيش برخان عبر الغابة ...

****

في أعماق الغابة المتوحشة كانت سارة ومايكل بحذر شديد حتى سارا في منتصف الغابة يتابعان الأشجار المتوحشة خوفا من أي هجوم مباغت وللعجب لم تتحرك أيا من تلك الأشجار بعث الأمر الطمأنينة إلى نفسيهما فأخذت سارة تمارس هوايتها في التقاط بعض الصور ...

بعد 20 متر تقريبا شعر مايكل بحركة خفيفة خلفه فالتفت فجأة لكن الحركة سكنت ولم يلحظ أي شيء غريب ..

- ماذا هناك ؟؟

سألته سارة متعجبة فقال :

- أعتقد أن شيء ما يتبعنا ..

نظرت من حولها فلم تلحظ أي شيء ملفت حتى تلك الأشجار المتوحشة كانت ساكنة كأنها خلدت توا للنوم فابتسمت ساخرة وقالت :

- يبدو أن جو الغابة يضفي عليك حالة خاصة ..

لم يبتسم مايكل وصمت وهو يتحرك في استسلام بضع خطوات حتى تسمرا في مكانهما لقد سمع صوتا لكن هذه المرة كان قريب جدا إنها زمجرة وحشية ..

إلتفتا ليجدا عينان ناريتان ترمقاهما حيوان ضخم يشبه كثيرا النمر الحالي لكنه رمادي اللون يبرز من فمه نابان طويلان جدا يتدليان خارج فكيه ارتفاعه يتخطى المترين .ومن بين فكيه يسيل الزبد ..

جحظت عينا سارة التي أسقطت كاميرتها من يدها وهي تكاد لا تستطيع أن تتنفس بوجود هذا الموت الأسود ...

نظر مايكل إلى قائمتي الوحش الأماميتين ليلحظ تلك المخالب السوداء تبدو كأنها مصنوعة من الفولاذ تتأهب لتنشب في جسديهما ..

أشهر مايكل بندقيته في وجه الوحش واستعد لإطلاق النار ..

ثنى الحيوان قامتيه الخلفيتين ونظر إلى مايكل بتحد سافر وقفز إلى الأعلى ، ضغط مايكل الزناد لتدوي رصاصة تخترق صدر النمر فبدا للحظة أن شيئا لم يصبه لكنه سرعان ما هوى أرضا ينتفض قبل أن يخمد جسده تماما ..

تنفسا الصعداء فما كانا لينجوان من براثن هذا الوحش الأسطوري مطلقا ..

انحنت سارة لتلتقط كاميرتها لكنها وجدت نفسها تطير إلى أعلى نظرت لتجد إحدى الأشجار المتوحشة يبدو أن صوت الرصاصة أيقظتها قد التف غصنها حول خصر سارة وضغط بشدة حتى شعرت أن أحشائها ستقفز خارجا ..

أما مايكل فتيبست عضلاته فجأة وهو يشاهد هذا المشهد وعشرات الأغصان المفترسة تتحرك دفعة واحدة وتنقض على جثة النمر تتنازعها وكأن شجار يقع بينهم

على فريسة دسمة حتى تحولت جثة النمر إلى أشلاء ..

فكر مايكل سريعا في هذا الموقف الصعب وسارة التي أخذت تصرخ وهي تشعر بجميع عظامها تتهشم والزهرة ذات الأنياب تقترب منها ..

أطلق مايكل النار على الزهرة لكنها تفادتها بمرونة قبل أن تطير بندقيته من يده فأحد الفروع التف عليها وجذبها بعنف في حين ألتف آخرين على قدميه ورفعاه إلى أعلى كالذبيحة وما هي سوى دقائق وانتهى كل شيء وعادت الغابة ساكنة تماما مرة أخرى ..

****

مرت الساعة أو يزيد عندما فتح باب العربة ليشير الحارسين لعادل وسماح بالنزول وما إن خرجا من العربة حتى وجدا نفسيهما أمام برخان مباشرة وهو يشير إلى نقطة مرتفعة ويقول عبر عقليهما :

- ستصعدان إلى أعلى ومعكما حارسين ممن يستطيعون الخروج لتكملا مهمتكما والعودة

هزت سماح رأسها موافقة إلا أن برخان أردف قائلا :

- لكن يجب ألا تخبرا أحدا بالمفتاح حتى تخبراني شخصيا ..هذا أو الموت لكليكما ..

ابتلع عادل ريقه بصعوبة وهز رأسه وقال :

- أعدك ...

عبر درج غير ممهد صعد أحد الجنود الحن وخلفه سماح وعادل

وخلفهما جندي آخر ..

كانت زاوية الصعود حادة جدا والمنحدر خطير فلاقا صعوبة في الصعود الذي استغرق حوالي الساعة والنصف ساعة حتى وصلوا إلى فجوة دخلوها ليجدوا أنفسهم فيما يشبه الكهف ينتهي بممر صغير ينحرف إلى اليسار قبل أن يريا نجوم السماء مرة أخرى ..

استنشق عادل هواء الأرض بعمق فرئتيه كانتا تحتاجان إلى هذا الهواء وكذلك سماح

التي ترقرفت عينيها بدمعات لم تعرف سرها حتى إلا أن ما تمر به كان صعب بل بالغ الصعوبة ..

نظر إليها عادل قائلا :

- لننهي الأمر الأن ..

لم يرا جنديي الحن غمزة خفية أشار بها عادل لسماح التي أخرجت هاتفها وبدأت تداعب مفاتيحه قبل أن تنظر إلى أحد الجنود وتقول إننا نحتاج إلى الخروج أكثر تبادل الجنديان النظر قبل أن يتقدم أحدهما ويتجه إلى خارج الكهف ليجدوا أنفسهم على حافة خطيرة جدا لا يتخطى عرضها متر واحد تقع في الثلث الأعلى من الجبل ..

تبادل عادل وسماح النظرات بإشارة فيما بينهما ، تصنعت سماح أنها تعبث بهاتفها في حين إقترب عادل من الحارس الذي أعطى ظهره للحافة في حين كان الأخر ظهره إلى مدخل الكهف ..

تراجع عادل إلى الجدار وفجأة مد قدمه اليمنى وركل الحارس في بطنه فاختل توازنه ليسقط من أعلى الجبل ..

وجه الحارس الأخر حربته تجاه عادل وهجم بعنف حتى خيل للأخير أن الحربة ستخترق قلبه لا محالة ولكن الجندي توقف فجأة وخيط رفيع من الدماء يسيل من قمة جمجمته سرعان ما تحول إلى شلال من السائل الأحمر قبل أن يلحق الحارس بزميله عند قاعدة الجبل ...

كانت سماح قد التصقت بجدار الجبل وهي ترى تلك الحربة تهوى على قلب زميلها لكن ما فاجأها هذه الصخرة التي هوت فجأة على رأس الحني العملاق فرفعت رأسها إلى أعلى فترتسم على شفتيها ابتسامة مريحة جعلت عادل بشكل لا إرادي يرفع رأسه لتجحظ عيناه فجأة ...

كان كرنو بن القزم يشير إليهما وهو يبتسم فصرخت سماح :

- كرنو بن أين كنت ؟؟؟

قال كرنو بن :

- إنني بالقرب منكم طوال الوقت ..

قفز كرنو برشاقة ليقف معهما على الحافة وألقى نظرة بداخل الكهف قبل أن يقول متعجبا :

- أين الباقي ؟!!!

قال عادل والذي كان مازال مبهورا بشكل هذا القزم فهي المرة الأولى التي يرى أحد البن :

- أي باقي !!!!

- أصدقائكم الرجال والسيدة ..

فزعت سماح وقالت :

- أوه يا إلهي حسام وفؤاد ومايكل وسارة أين هم ؟!!

قال كرنو بن :

- لقد ساعدتهم للدخول إليكم وانقاذكم فبعدما اختطفوا سماح ذهبت إلى أصدقائكم وأخبرتهم كل شيء ولقد ذهبوا لإنقاذكم ..

جلست سماح منهارة وقد تسللت دموعها رغما عنها وهي تقول :

- لقد وقعوا بالتأكيد فريسة للحن ..

هز كرنو بن رأسه وقال :

- لا لا أعتقد ذلك وإلا لكنتم عرفتم .

قال عادل:

- إذن علينا العودة مرة أخرى ؟؟؟

قالت سماح أعتقد هذا ..

قال كرنو بن بصوته الرفيع مالنقنقة :

- لن تكونوا بمفردكم ..

نظرا إليه بتعجب فأشار إلى مدخل الكهف ليجدوا أمامهم جيشا صغيرا من البن الأقزام في مقدمتهم قائد البن الذي قابلته سماح سابقا !!

قالت سماح :

- ولماذا تعرضون أنفسكم للخطر ؟؟

ترجم كرنوبن لقائده جملتها قبل أن ينقل لها الرد قائلا :

- إننا شعب مسالم هادئ لكننا تسببنا في تعرضكم للخطر وواجبنا أن نساندكم ثانيا لقد تعبنا حياة الكهوف والجبال وعندما أقام أمحوتب المدينة بأسفل كانت لتسعنا جميعا وليس لينفرد بها الحن وحدهم إلا إننا إكتفاء لشرهم تركنا حقوقنا وأظن أن الوقت حان لإسترداد هذا الحق أو الموت بشرف ..

ابتسم كلا من سماح وعادل وهما ينظران إلى هذه المخلوقات الصغيرة قبل أن تقول سماح :

- أعتقد أن الأمر يحتاج إلى خطة ..

هز قائد البن رأسه موافقا فأردفت قائلة :

- أعتقد أن لدي واحدة إسمعوا ...

اقترب منها القائد وكرنو بن وعادل وهم يسمعون ما ألقته عليهم من خطتها التي بدت محبوكة جدا ...

****

على عمق أكثر من 350متر وعلى أطراف الغابة اختبأ حسام وفؤاد وحسن ومعهم الحني المعارض شرخان ..

التفت حسام للجميع وقال وهو يشير إلى أعلى حيث اختفى كلا من عادل وسماح :

- يبدو أن هذا مخرج ما لكن لماذا أخرجوا عادل وسماح ؟!!

قال فؤاد :

- ربما أفرجوا عنهما !!

قال حسن :

- لا يمكن إلا إذا عرف أحدهم السر وهذا مستبعد كما أن معهما حارسين ..

قال حسام :

- إنه أمر محير حقا لكن يجب أن نتحرك سريعا ..

قال شرخان :

- هذه أفضل فرصة فعددهم أقل كثيرا من داخل المدينة ومعهم كل ما نريد أصدقائكم وكذلك برخان الشرير ..

قال فؤاد ولكن مازالوا عشرة أضعافنا تقريبا كما أن هذه الحيوانات معهم خطيرة وقوية ..

قال شرخان :

- ربما نهاجمهم من الخلف كل ما علينا قتل برخان بعدها سيفر الجميع ، أما هذه الحيوانات فهي المشكلة ..

قال :

- حسام عندي فكرة ...

قال حسن :

- هات ما عندك ؟؟

أنصت الجميع إلى حسام الذي أخذ يشرح لهم فكرته التي لاقت إعجابهم وبشدة حتى أن شرخان قال :

- حقا إن البشر أذكياء جدا ..

قال حسن :

- إن الفكرة جميلة جدا لكن ليس لدينا سلاح وهم معهم حرابهم الحادة ؟؟!!

قال حسام :

- إن معي بندقية وخنجر مايكل الحاد ..

قال شرخان:

- وأنا لدي حربتي هنا ..

قال فؤاد :

- وماذا عني وعن حسن ؟؟

قال حسام :

- يلزمنا متطوع أولا ..

- أنا لها ..

قالها حسن بثقة ، فقال حسام :

- حسنا ليكن الخنجر لفؤاد ولنبدأ على بركة الله ..

****

كانت خطة سماح تعتمد على البحث عن مدخل آخر للجبل حتى يستطيعون الإلتفاف من خلف الجيش الصغير المصاحب لبرخان فتطوع كرنو بن لإرشادهم إلى مدخلا كهفي صغير ليجدوا نفسهم على بعد 500متر تقريبا من معسكر برخان وبهدوء تسللوا بقيادة سماح وعادل يتبعهم قائد البن وكرنو بن خلفهم مائة من البنيين يحملون النبال ذات الأسهم المدببة وبعض الحراب المصنوعة حديثا من فروع بعض الأشجار وبعضهم جلب عظام بعض الحيوانات لإستخدامها كسلاح ..

نظرت سماح إلى العدد وقالت بلهجة قيادية :

- الأن يجب أن نأخذ زمام المبادرة ففرصتنا في المفاجأة ..

صاح عادل فجأة في سماح قائلا :

- إنظري هناك ؟؟

التفت الجميع حيث يشير عادل لتجحظ عيونهم بشدة ، فهناك على مسافة نصف كيلو متر كان يقف حسن بقدميه حافيتين وهو يقوم بحركات عجيبة من مسافة خمسون متر تقريبا جعل مجموعة من الفرسان يستديرون بحيواناتهم وينطلقون في اتجاهه بسرعة وعندما أصبحت المسافة أقل أسلم حسن قدميه للريح ليختفي داخل الغابة وخلفه عشرة فرسان بديناموساتهم وحرابهم كانت المسافة بين حسن وأقرب واحد له تتقلص بشدة حتى كادتا قدمي الديناموس الأمامية تسحقه إلى أنه إنحرف فجأة يسارا إلى منطقة أشجار منخفضة جدا فتوقف الفارس فجأة وتحدث مع زملائه قبل أن يترك خمسة منهم حيواناتهم وينطلقوا على الأقدام لمسافة عشرون متر داخل الأحراش لكنهم لم يجدوا أثرا لحسن ..كادوا يعاودون أدراجهم لكن فجأة سمعوا صوتا مدويا ليسقط أحدهم غارقا في دماءه وما إن التفتوا إلى مصدر الصوت حتى كال شرخان لكمة إلى أقرب الحن له ليترنح لحظة إلا أن حربة شرخان كانت تلمع بدماء الحني ..

أطلق حسام رصاصتين ليسقط أخرين في حين تعلق فؤاد في عنق الخامس والخنجر يقطع حنجرته فيسقطا أرضا قبل أن يقف فؤاد مع زملاءه ليواجهوا الخمسة الأخرين الذين جذبهم الصوت فأسرعا على الأقدام ..

كانت رصاصات حسام سريعة بحيث أصابت ثلاثة غير أن شرخان كان شجاعا بحيث أطلق زمجرة وحشية وانطلق ليتلقى أحد الجنود فيدفع بمعصمه مطيحا بحنجرة الأخير ويتحرك بخفة متفاديا حربة الأخر التي جرحت عضده إلا أنه لم يتوقف بل جذب عنق الجندي ليسقط رأسه على ركبته بعنف ثم يكيل له لكمتين تكفلتا بسقوط الجندي نهائيا ..

نفض الجميع ملابسهم وهم يشعرون بالغبطة من انتصارهم بمعركتهم الأولى لكن على الجانب الأخر تردد صوت طلقات حسام فسمعها برخان الذي أمر جنوده بالتحرك بسرعة باتجاه الغابة ..

أما صوت الطلقات فقد كان يعني الكثير لكل من عادل وسماح الذين تابعا مشهد تحرك الجيش وما إن إختفى داخل الغابة حتى أعطيا للبن اشارة التحرك ..

أما شرخان الذي أمسك بذراعه الجريح قال :

- الأن حتما سيأتي الجميع ..

قال حسام :

- إذن لنأخذ مواقعنا الأن ..

دون تردد انطلق الأربعة كلا منهم أعلى شجرة في انتظار دخول الجيش منطقة نفوذهم ..

كان برخان في مقدمة جيشه الصغير وما إن اقتربوا من منطقة الأحراش حتى دوت رصاصان حسام تحصد عددا منهم ولكن فجأة نفذت ذخيرته وهو ما لم يكن في حسبانه ..تبادل الجميع نظرات اليأس فأملهم كان كبير على هذا السلاح ..

سمع الجميع فجأة صيحات لم يعرفوا مصدرها أول الأمر وسرعان ما ظهر جيش البن الصغار الذين أخذوا يقاتلون السيارة بخفة فلياقتهم كانا مصدر قوتهم فهم يتحركون ويراوغون بسرعة ..ومن بعيد ظهرت سماح وعادل ..

شعر حسام بحماسة وطاقة جعلته يقفز على أقرب ديناموس خلف فارسه ويطبق قبضتيه على عنقه حتى لفظ الحني أنفاسه فالتقط من يده حربته ووقف على الحيوان الضخم وصوب حربته إلى صدر أخر ..

عندما رأه الثلاثة حزوا حزوه إلا أن فؤاد سقط أرضا ليجد نفسه بين عدد من الحن فطعن أقرب واحد له وكاد يفعلها مع الثاني إلا أن سهما ناريا اخترق صدره فجأة إنها حربة أحدهم ليسقط ميتا من فوره ..

تنقل حسام بين ظهور الديناموسات كأنه طرزان ليطعن ويطعن ..

شعر برخان بالفخ الذي وقع فيه مع رجاله فتسلل محاولا الهرب لكنه وجد نفسه فجأة وجها لوجه مع شرخان ليزأر الأول كأنه أسد جريح ويهجم بكل ما أوتي من قوة على شرخان إلا أن الأخير استقبله بصرخة أشد ليتلقف عنقه بين أنامله ويضغط على حنجرته إلا أن برخان ركله في بطنه جعله ينحني فأقامه بلكمة جعلته يترنح إلى أنه استعاد توازنه بسرعة فتلقى لكمة برخان على ذراعه ليفجر قبضته في فكه فيسيل خيط رفيع من الدم ثم يتبعها بلكمات متلاحقة جعلت برخان يسقط أرضا فتناول شرخان حربة غرسها في قلب الملك الذي أصدر حشرجة قبل أن يسلم الروح ..

رفع شرخان رأسه ليجد أن المعركة قد انتهت فعلا لقد أبيد الحن ومعهم عدد كبير من البن وفؤاد ..

كانت رائحة الدماء مثيرة لحفيظة الغابة المتوحشة لتتحرك فروعها بنهم فلديها الأن العشرات من الجثث لتروي ظمأها للحم والدماء ..

صاح حسام فجأة قاطعا الصمت الحزين الذي خيم على الجميع وهو يشير إلى نقطة ما هناك إنها الكاميرا الخاصة بسارة ..

شعر الجميع بغصة في حلوقهم والبن يحاولون انقاذ جثث فتلاعم من بين براثن الأشجار المفترسة بينما اقترب حسن من جثة الملك برخان ليلتقط تاجه الكريستالي ويناوله لشرخان قائلا :

- هذا حقك الأن ..

تناوله الأخير وهو يقول :

- لم أطمح يوما إلى الملك كل ما أريده حكما عادلا مبني على السلام ..

ثم نظر إلى الجميع وقال :

- يجب أن أذهب الأن إلى المدينة فلدي الكثير من العمل للقضاء على نظام برخان الشرير ..

التفت إلى قائد البن وأردف قائلا :

- أنا أنتم إخوتي البن فمرحبا بكم في بلادكم ..

تصافح الجميع وتودعوا من بعضهم البعض ليسدل الستار على معركة دارت في عالم آخر لا يعلم عنه أحدا أي أخبار ..

****

في طريق العودة إلى القاهرة كان الثلاثة واجمين بشدة فالحزن يخيم عليهم خاصة حسن الذي فقد زوجته ..

نظر إليه حسام قائلا :

- لقد أخبرتني ياحسن إنك تعرف الرقم المقدس لكنك نسيته فهل تذكرته الأن ؟!!

قالت سماح معترضة :

- حسام ليس الوقت مناسبا ثم إننا لا نريد أي شيء يربطنا بهذا المكان !!

قال حسن :

- لا بأس ياحسام إنني لم أنسه حقيقة بل خبأته في عقلي دائما حتى لا يراه أحد وإنني لأتعجب من جهلهم بمثل هذا الرقم رغم ما وصلوا له من امكانات ...

قال حسام بشغف :

- ما هو هذا الرقم ؟؟

1.618 هذا هو الرقم المقدس أو النسبة الذهبية كما يسميه علماء الرياضيات الرقم فاي .... phi

نظر حسام إلى حسن متعجبا وقال :

- هل هذا معقول ؟!! ولماذا يعد مقدسا ؟؟

قالت سماح وهي تشير إلى هاتفها :
- دعونا نبدأ من البداية .. .لقد ظهرت هذه النسبة فعليا الى الوجود _إن صح التعبير_ بعد أن قام العالم و الفنان الشهير (ليوناردو دافنشي) بعمل المتوالية الشهيرة:1 _ 1 _ 2 _ 3 _ 5 _ 8 _ 13 _ 21و فكرة هذه المتوالية بسيطة جدا و هي أن كل رقم يساوي مجموع الرقمين السابقين !

على سبيل المثال الرقم الرابع في المتوالية وهو الرقم 3يساوي مجموع الرقم الثاني و الثالث من المتوالية و هلم جرا. و الذي زاد من شهرة هذه المتوالية البسيطة هو الكاتب الشهير (دان براون) الذي استخدم المتوالية في روايته الشهير (شفرة دافنشي) كمفتاح لحل لغز جريمة قتل وقعت سرا في متحف (اللوفر).

و الغريب في أمر هذه المتوالية وهو أنه في حالة قسمة أي رقمين متوالين فأن نواتج القسمة تكون دائما (1,618) !

!وهنا انتبه العلماء لهذه النسبة الغريبة....! ومرت الايام لتكشف المزيد عنها...! فكشف علماء البيولوجية خاصية غريبة تتعلق في مجتمعات النحل هي أن عدد الاناث في أي خلية يفوق عدد الذكور بنسبة ثابتة وهذه النسبة هي 1,618 !! وهي النسبة الغامضة نفسها التي ظهرت في متوالية (دافنشي) الشهيرة....!

كما عثر علماء الاحياء أيضا على خاصية أخرى غريبة في جسم الحيوان الحلزون فنسبة قطر كل التفاف لولبي الى اللولب الذي يليه هو 1,618أيضا!

ومازلنا مع علماء الأحياء هذه المرة في قسم النبات فقد عثر العلماء على هذه النسبة مرة أخرى في بذور عباد الشمس حيث تنمو هذه البذور بشكل لولبي و بهذه النسبة الغامضة نفسها..!! وحتى نهاية السطر السابق سيبدي بعض القراء اندهاشهم و يبدي البعض الآخر الشك في أن الموضوع مجرد مصادفة بحتة ...

ولكن لا تستعجل الحكم على الامر و اتبعني الى السطور القادمة لتجد المفاجأة الحقيقية وهي أن جسم الانسان كله يقوم على هذه النسبة !! فـ لو قست المسافة من قمة رأسك الى الأرض و المسافة من سرة بطنك الى الأرض وقمت بالقسمة ستحصل على الرقم الغامض نفسه 1,618 !

أيضا...لو قستم المسافة بين كتفكم و أطراف أصابعكم ثم قستم الناتج على المسافة بين الكوع و أطراف الاصابع لظهر لكم الناتج أيضا 1,618 !

هل ما زلت تعتقد أنها مصادفة؟

حسنا دليل آخر فالمسافة بين الورك الى الأرض مقسمة على المسافة بين الركبة و الأرض تعطيك الناتج الغامض نفسه...! كل ما في جسم الانسان هو من سلاميات الاصابع و اصابع القدمين و الحبل الشوكي و نسبة الوجه الى الجسم كله كلها تعود

الى هذه النسبة المقدسة !

إذن جسم الانسان بتناسقه الكامل هو مثال حي لنسبة 1,618 ! وطبعا عثروا هذه النسبة في الدلفين و الفراشه و عدد ضخم من الحيوانات وبعيدا عن علم التشريح و الاحياء فقد قام المهندسون باكتشاف أمر آخر مثير...وحيث وجد المهندسون أن أنسب شكل للمستطيل هو ما يكون طوله يتناسب مع عرضه بالنسبة نفسها 1,618و قاموا بتطبيق هذه النسبة المدهشة في كل شيء ! و من مبنى الأمم المتحدة (حيث يتناسب طول المبنى مع عرضه بهذه النسبة) الى بطاقة الائتمان !و إن كنت تشك في ذلك كل ما عليك القيام به هو إخراج بطاقة الائتمان من جيبك و قياس الطول لتقسمه على العرض فتحصل على النسبة نفسها..!!

ماذا أيضا.....!الأهرام تتناسب بالنسبة الغامضة نفسها و أعمدة (بارثينون) في اليونان و تظهر أيضا في البنى النظامية لمعزوفات كل من (موزارت) و (بتهوفن) و (بارتوك) و (ديبوسي) و (شوبرت) و غيرهم الكثير...!!كما أنك لو قمت برسم نجمة خماسية فإن الخطوط ستقسم نفسها تلقائيا الى أجزاء حسب النسبة نفسها..!

ولو أردنا كتابة قائمة بما يتعلق بهذه النسبة لاحتجنا الى مجلد ضخم ! فما هو سر هذه النسبة الغامضة..!
قال حسام متعجبا :

- وهل هناك تفسير واضح لها..؟

قال حسن :
- لا يوجد حتى يومنا هذا أي تفسير واضح لهذه الظاهرة الرقمية الغريبة. ولكن يعتقد عدد كبير من العلماء أن هذه النسبة هي نسبة مريحة للعين لهذا السبب نجد أن جميع أنواع البناء و الاشكال الهندسية بجميع أشكالها ظهرت بهذه النسبة دون قصد لأنها هي الشكل المناسب و المريح للعين الطبيعية.كما أنها ظهرت في جميع المخلوقات الأخرى كدليل واضح على حسن الخلق من الخالق _عز و جل_

في تماثل عجيب و معجز .هذا هو التفسير الوحيد الذي عثر عليه العلماء لهذه

الظاهرة العجيبة ومازال البحث مستمرا للتنقيب حول ظاهرة غريبة ..!!

كانت المعلومات غريبة حقا بالنسبة لحسام الذي ابتسم وهو يقول :

- لقد كان أمحوتب داهية حقا !!!

ألقت سماح بقنبلة من العيار الثقيل قائلة :

- الأدهى أن كل هذا مجرد كذبة كبيرة ..

رفع الإثنين حاجبيهما متعجبين فقالت مردفة :

- الحقيقة إنه لا سر ولا مفتاح ولكن أمحوتب أخبرهم هذا كله حتى يضمن عدم خروجهم أما الحقيقة إنهم أحرار ...

انطلق الجميع ضاحكين بشدة من هذا المقلب التاريخي ...

****

تمت بحمد الله

عمرو ممدوح

ابريل 2017

الفيوم